حلم الأسلاف

في

« أصول الدين ونواميس الحضارة والعمران »

تأليف

« الألمعي النحرير والباحث المدقق »

الشيخ سليم أبي الاقبال افندي اليعقوبي

« صاحب مجلة الآيات ورئيس تحريرها »

طبع على نفقة المؤلف وحقوق الطبع محفوظة له

سنة ١٣٢٥ هـ سنة ١٩٠٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد ما أحمد الله تعالى وأصلى وأسلم على نبيه الأكرم أقول . ان من المعلوم بالبداهة أن الانسان لا يكون كاملا فى نظر العقلاء الأولى لا يألون جهداً فى تحصيل مايوطد دعائم الحضارة وأحراز مايعود عليهم وعلى الهيئة الاجتماعية بالجدوى الا اذا كان آخذاً بنفسه نحو تعضيد دينه بالبحث عن حقائقه والتنقيب عن فضائله: حتى تجلى الحقائق الدينية التى عليها مدار الحياتين . فلا يكون بينها وبين الرامى اليها حجاب وتجلى الفضائل التى تدور على قطبها رحي السعادتين فلا تخفي على ناظر متفكر أودعه الله قوة الفكر وملكة الادراك : اذ الاشتغال

بالدين هو الفلسفة الحقة التى يركن اليها الحكيم والحكمة التى يلتقطها العاقل أنى وجدها : لذلك أرانى ولوعا فى بيان حقيقة ديننا الاقوم دين العلوم والمعارف وما يطلبه منا من معرفة العقائد السليمة : وشرح أوامره ونواهيه وغير ذلك مما نطق به الرسول عليه الصلاة والسلام الذي جاء بالمدنية الاسلامية وفاه بقانونها الاغر دستوره الاعظم (كتاب الله القرآن) : ودونك كتابى هذا (حكمة الاسلام) فقد شرحت لك فيه على وجه الاختصار أصول التوحيد الأحق وكشفت حوالك الحجب عن أوامر الدين الاسلامي ونواهيه وبينت شيئا من مزايا ذلك الدين وفضائل كتابه الاقدس وما انطوى عليه من المباحث العمرانية . وطرفا من تاريخ وشمائل نبيه الاكرم . ونبذة تبحث عن اثبات أفضليته صلى الله عليه وسلم على الخلق أجمع وغير ذلك مما يجب على الباحث المدقق الوقوف عليه حسبما نطق به القرآن الشريف والعقل السليم وصحيح الاحاديث غير أنى ما سلكت فيه مسلك غيرى من الباحثين فى مثل صفات الله تعالى هل هى عين الذات أو غيرها وهل السمع

والبصر غير العلم بالمسموعات والمبصرات والكلام غير ما اشتمل عليه العلم من معانى الكتب السماوية أو عينه . ونحو ذلك مما لا يمكن لعقول البشر أن تصل لكنهه الحقيق كالبحث عن حقيقة العرش والكرسى واللوح والقلم . فان هذا مما لا يجوز الخوض فيه وما علينا الا الوقوف عند ما تصل اليه العقول : ولما كانت معرفة أصول التوحيد يتوقف تمامها على معرفة الانسان نفسه بحثت أولا فى حقيقة الانسان مبينا أحواله الموجد منها والفضائل المودعة فيه مع ما يلزم للباحث مما يخص النفس والروح والقلب والعقل وأحكامه : والاستاذ الاعظم فى ذلك وفى سائر ما سيتلى عليك (كتاب الله) الذى انتهج بالدين منهجا لم يقم عليه ما سبقه من الكتب المقدسة وسلك به مسلكا يمكن لاهل الزمن الذى أنزل فيه ولمن يأتى بعدهم أن يقوموا عليه . ذلك الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه و (السنة) الداعية الى مناهج السعادة بالحكمة والموعظة الحسنة و (العقل) الهادى الى سواء السبيل (والاجماع) الذى يركن اليه الناقد البصير : وقد وشحته بذكر كثير من

الآيات القرآنية اذ هى البراهين القاطعة والحجج الدامغة وتفسير بعضها حسبما اقتضاه المقام . والاحاديث النبوية اذ هى الحكم البالغة والآيات الصادقة : كما حليته بكثير من الادلة العقلية التى يعترف بها الخصم ويجنح اليها المنكر لاسيما منكر (حدوث العالم) ومنكر (الحشر والنشر والثواب والعقاب) ومنكر (حضارة الاسلام) ومدنيته الحقة وغير ذلك مما ستراه مفصلا بحول من الله وقوة : وختمته بخاتمة دعانى اليها ماشاهده عيانى من مخرفى هذه الايام الذين ضلوا وأضلوا وهم لايشعرون : ومن فى حكمهم من الضالين . فاقرأه بامعان تقر عينك ويطمئن فؤادك وتدبره بنظر صحيح تجد (حكمة) تلعب بقلوب المؤمنين لعب الصهباء بالثمل الطروب فضلا عما تودعه فى الافئدة من الهداية وتلقيه فى الصدور من السرور : وما أحسن ما ارتجلت فيها

رصعت (حكمتى) بنان يمينى بيراع الاتقان والاحكام
حكمة تودع الهداية فى النفـــــس فتجلو غياهب الأوهام
فاصطفوها تروا حقائق دين اللـــــه تهدى الحياة للأجسام

واذا شيتم الفضيلة يوما فاطلبوها من (حكمة الاسلام)

واني أرى عملي هذا أحسن شئ أتقرب به الى الله تعالى . لما فيه من البحث وراء حقائق التوحيد وأصول الدين . والسعي نحو تربية الشبيبة الاسلامية بما تدعو اليه الآداب ويطلبه منا الاخلاص . والأخذ بأبناء ديننا القويم الى مناهج السعادة ومراتب الارتقاء : لذلك توفرت لدي دواعي الشوق بمثل هذه المواضيع الفلسفية الاسلامية الى تقييد شواردها . اذ بذلك تشييد دعائم العمران . وحفظ فوائدها التي تأخذ بالمتفكر الاديب الى صهوة المجد وقمة الافضال . اذ به تصفية القلوب من حنادس الشك وشوائب الارتياب وتنقية الافكار من أدران الاوهام : وان كنت حديث السن لست من رجال الكتابة ولا من أبناء التحرير ولا ينكر علي أحد ممن يهمه الرقي في الدين والحضارة في الاخلاق أن صرف الوقت وراء البحث في تحقيق مسألة من مسائل هذا الدين الذي تركه ظهريا من لا يفقه القول ولا يعي نواميس الآداب : أجل في نظر العاقل الحكيم من

الاشتغال بتصريف مثل تدحرج واحر نجم وأكل ونام . واعراب ليت لى قنطاراً من الذهب فأحج منه . والبحث فى أن مثل هذا المثال مما لا طمع فيه أو ما فيه عسر . واكتشاف متعلق الجار والمجرور فى اعراب البسملة واختراع تسعة أوجه أو أكثر فيها . والجرى وراء تعضيد نحو السعد دون السيد والسكاكى دون غيره فى مثل مباحث الاستعارة المكنية والاستعارة المصرحة . والمنازعة الباردة فى موضوع الحقيقة هل الأجدر أن تذكر فى علم المعانى أو فى علم البيان . وانحال نكتة ساقطة فى تقديم المسند على المسند اليه فى بعض المثل أو العكس . وعمل الفكر فى مدح زيد أو هجوه والتغزل بهند والتشبب بدعد . وارتكاب العنت فى انشاء تاريخ أو تاريخين أو أكثر فى بيت أو بيتين من الشعر . والجهد فى جواز تزويج الجنى بالانسية والانسى بالجنية . والكد فى فرض وجه للحكم فى عدة زوجة الممسوخ هل تعتد عدة طلاق أو عدة وفاة . وبذل الطاقة فى تحصيل معنى موهوم ما أنزل الله به من سلطان فى تفسير آية أو حديث . وتقدير مضافات كثيرة

تأباها اللغة وتأنف منها الاذواق فى الجملة الواحدة . وغير ذلك مما قصر الكثيرون أنفسهم عليه حتى أضاعوا الدين فصار ألعوبة في أيدى القاصرين . وانى لأعجب وأيم الله ممن يتركون الدين وراء الظهور ويسعون في تبديد من يمهد أصوله ويوطد دعائمه . بغضاً فى التقدم أوجهلا في العلوم ويتمسكون بأوهام لا ترجع بالفائدة بل ولا تعود بغير الوبال . لاسيما ممن يضيعون الوقت هباء ويرون المناقشة فى الالفاظ تحقيقا . والمشاغبة فى القيل والقال تدقيقا . كيف يتعلقون بأهداب التراهات ويجمحون عن حقائق هذا الدين : أظن أنهم لا يعقلون ومما يزيد الطين بلة كما فى (المثل) أنك اذا قلت لهم هذه أوهام لا طائل تحتها يجب على المدقق البصير تركها حفظاً على نفسه من الدمار ووقته من الضياع . والاخذ بنفسه وراء ما يجلسه على منصة المجد وذروة السعد : قالوا (هذا آخر الزمان) وأشاعوا عنك ما تكره وأزاعوا ما تأباه النفوس الحية ووشوا فيك أنك سيء العقيدة معتزلى صرف ردئ الافكار وهابي بحت . وأنك تعرف النحو والصرف والمعانى والبيان

والشعر والنثر والفقه واللغة والتفسير والحديث . لانكارك أعمالهم وتعنيفك اياهم على ما يصنعون . وعدم قصر أفكارك في هذه العلوم على ما قصروا أفكارهم عليه . حتى كأن هذه الفنون وأمثالها ليست الا مايعرفونه من التراهات ويتمسكون به من الاوهام . أعاذنا الله من قوم لايشعرون : هذا وأملي أن يصادف كتابي قبولا من الله سبحانه واقبالا من شبيبتنا الحديثة عليه وما ذلك على الله تعالى بعزيز كما أن أملي منه عز شأنه أن يحرسه من الاعداء الذين لا يسعون في غير تثبيط الهمم العالية من النفوس الابية وحل عرى السؤدد والمجد وهدم كيان المدنية التي جاء بها الاسلام حسبما سولت لهم أنفسهم وزينه لهم الشيطان : وقد كثرت ويالاسف في هذا الزمن أعداء المعارف والعلوم فبعدت الفضيلة حتى كان بينها وبين طالبيها مابين السماء والارض أو أشد بعدا وحجبت فنون الآداب بحجب حالكة تكاد أن تقضي على النفوس الحيوية بمصيبتها العامة وطامتها الكبرى مع ان العمران لاتقوم أعمدته الا بتلك الفنون اذ بها يعرف الانسان نفسه فينقاد لدينه الحق

ويعرف ربه الذي أوجده من عدم كما قلت

اذا عرف الانسان أسرار نفسه وأدرك آيات تجلت صفاتها

فلا بد أن ينقاد للدين والهدى كما انقدت للرحمن يوم عرفتها

ويقف وقوفا تاما على مالها وما عليها من الحقوق والواجبات وما أحسن قولى فيها

الا ان في (الآداب) فلسفة بها مقام يجارى أفقه مطلع الشمس

عرفت بها نفسى فكنت على تقي

وحسبى من (الآداب) معرفة النفس

ينبئك عن كثرة الاعداء فى هذا الزمن الممقوت منتدياتنا الشرقية فقد أصبحت مشحونة بمن لا يرون غير التنديد بالعقلاء والتعريض بالفضلاء لذلك ضعفت الافكار واضمحلت العزائم فصرنا ألعوبة في يد الأهواء تقلبنا كيفما تشاء حتى أن الصديق الحميم لا يود لصديقه فى هذه الايام غير ما يوده الحاسد لمحسوده والعدو لمن عاداه والجار لا يحب لجاره الا كوارث الزمان وحوادث الايام ولهذا أحذر كل خليل لى من مصاحبة أمثال هؤلاء فأقول

طلق الناس صاحبا أو جارا عدل الدهر في القضا أو جارى
ان زيدا وان صفا لك يوما سوف يورى زناده لك نارا
واحذر السلم فالزمان خؤون طبعه أن يحارب الأحرارا
أسر الناس بالخداع الى أن جعل الشر فى نفوس الأسارى
حار فكرى فكيف أصنع في أمرى ودهرى يحير الأفكارا

كل هذا الوجود والناس فى الار

ض بما يصنع الزمان حيارى

وبالجملة فأسأل الله تعالى أن يزيل ما في النفوس حتى تتوحد الكلمة وتأتلف القلوب فتجد الفضيلة منا تعضيداً والعلوم تأييداً انه خير مسؤول وأعظم مجيب وانا الفقير اليه تعالى (سليم أبو الاقبال اليعقوبى) نجل الامام الفقيه خاتمة المحققين (الشيخ حسن افندي اليعقوبى) أطال الله بقاه

﴿ تمهيد الانسان وما يجب عليه وما ينبغى أن يعرفه ﴾

من الواجب على أي انسان وجوبا أوليا معرفة ربه الذى أوجده من ظلمة العدم الى نور الوجود وأحسن خلقه ونفخ فيه من روحه وأفاض عليه من جلائل النعم ماأصبح به انسانا

عاملا يعمل بجوارحه وجوانحه ووهبه من مواهب الكرم ما تعجز عن ادراكه الأفهام وتقف دونه العقول : حتي خصه بالكرامة وفضله على كثير من خلقه كما قال سبحانه (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)وجعل ماسواه كالمعونة له كما قال تعالى ذكره (هو الذي خلق لكم مافى الارض جميعاً) وتفضيله ليس الا بالعقل الذى يستمد بواسطته المعارف ويميز بنوره بين المحاسن والقبائح فيعرف كيف يجرى الحسن ويتجنب القبيح لا بقوة الجسم . اذ الفيل أقوى جسما منه ولا بطول العمر اذ النسر أطول منه عمراً ولا بشدة البطش . اذ الاسد أشد منه بطشا ولا بحسن الملبس . اذ الطاووس أحسن منه لباسا ولا بكثرة الذهب والفضة . اذ المعادن أكثر منه ذهباً وفضة ولا بعنصره الموجود منه كما زعم ابليس حيث قال (خلقتني من نار وخلقته من طين) : وكفاه فضلا أن أوجده الله تعالى صالحا للدارين . وذلك أنه أوجد ثلاثة أنواع من الأحياء نوعا للدنيا ونوعا للآخرة ونوعا لهما معا والاول الحيوانات والثاني

الملأ الأعلى والثالث الانسان فهو واسطة بين جوهرين وضيع ورفيع وقد جمع فيه قوى العالمين فجعله كالحيوانات فى الغذاء والتناسل ونحوهما وكالملائكة في العقل والعلم وأمثالهما. والحكمة فى ذلك أنه لما رشحه للعبادة وأهله للخلافة فى الارض وهيأه مع ذلك لمجاورته فى جنته : جمع فيه تينك القوتين اذ لو خلقه حيوانا مجردا عن العقل لما صلح للعبادة والمجاورة فى الجنة كما لو خلقه ملكا معرى عن الحوائج البدنية لم يصلح للخلافة وعمارة الارض لما أن الملائكة لا تصلح لذلك كما قال تعالى فى جوابه لهم (انى أعلم مالا تعلمون) . ولما جمع فيه هذه القوى جعله (كبلد) طيبة جارية الأنهار مزهرة الرياض مترعة الحياض تعمل فيها عمالها ما تشاء من تعمير البيوت وتشييد القصور . وعمال الانسان تلك القوى الاربع التي أودعت فيه وهي الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة ولما كان لكل بلد سكان أخيار وأشرار جعل الله سكان الانسان الأخيار القوى التى تتولد منها المروءة والشهامة وسائر الاخلاق الجميلة وسكانه الأشرار القوى التي يبدو عنها مايخل بالآداب ويحط بالعواطف الشريفة

(ومدينة) آمنة توطد أمنها . وتعزز بالعدل سلطانها . وسلطان الانسان العقل ولما كان لكل سلطان وزير وصاحب بريد وأصحاب أخبار وخازن وترجمان وكاتب . جعل الله وزير الانسان القوة المفكرة ومحلها وسط الدماغ وصاحب بريده القوة المخيلة وموطنها مقدم الدماغ وأصحاب أخباره الحواس الخمس ومسكنها الاعضاء المخصوصة المعلومة وخازنه القوة الحافظة ومنزلها خلف الدماغ وترجمانه القوة الناطقة وآلتها اللسان وكاتبه القوة الكاتبة ويراعها اليد : وبالجملة فقد أودعت فيه بسائط الوجود ومركباته وروحانياته وجسمانياته ومبدعاته ومكنوناته . كيف وقد جعله الله سبحانه نظير العالم المحيط الأكبر حتى كأنه هو فما تفرق في العالم الاكبر تجده مجموعا فيه من ملك وملكوت : فنظير شمس ذلك العالم وقمره ما أودع الله فيه من الروح المضيئة التي اذا فارقت الجسد أصبح كالليل الحالك والعقل المستمد منها . ونظير مائه الملح والعذب والزعاق والمر مافيه من ماء العين والانف والاذن والفم . ونظير كواكبه ما فيه من الحواس الخمس . ونظير

رياحه الأربع الشمال والجنوب والصبا والدبور مافيه من القوي الاربع المتقدمة . ونظير سمائه وأرضه مافيه من العلو والسفل ونظير ملائكته البررة ما فيه من الطهارة والطاعة . ونظير سباعه وشياطينه ما فيه من القوة الغضبية التي يكون بها الافتراس والقهر والغلبة والحقد والحسد والفجور . ونظير ظاهره وخافيه مافيه من عالم الحس وعالم الباطن . فظاهره ملك وباطنه ملكوت . وبالاختصار فلو قابلت بينه وبين نسخة العالم الاكبر لوجدت بينهما كمال المطابقة وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد : واذ قد عرف الانسان ماأودعه من الحكم والآيات كان من الواجب عليه أن يعرف ربه الذي خلقه ووشحه بتلك الحكم البالغة وهاتيك الايات ولا يتسنى له تمام معرفته تعالى الا بمعرفته نفسه ولهذا قالت (الفلاسفة) أول ما يلزم الانسان معرفته نفسه . وذلك لما أن النفس مجمع الموجودات ومعدن الحقائق الكونية فمن عرفها عرف حقائق الموجودات فانيها وباقيها سمائها وأرضها يرشدك لذلك قوله تعالى (أو لم يتفكروا فى أنفسهم ماخلق

الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى وان كثيراً بلقاء ربهم لكافرون) وقوله (وفى الارض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون) ومتى عرف هذه الموجودات المعبر عنها بالعالم عرف أنه حادث كما ستقف عليه وانه لابد له من محدث لايشبه الحوادث بوجه ما كما سنبينه قريباوذلك غاية معرفته الله التى هي أس التوحيد

ومما ينبغى معرفته تلك العناصر التى أوجد الله منها كل انسان وهي التراب والماء والهواء والنار . اذ منها كان تكوين أصله وايجاد خلقته كما أشار الله تعالى لذلك في مواضع مختلفة فقال فى موضع (خلقه من تراب) اشارة الى المبدأ الأول وفى آخر (من طين) اشارة الي الجمع بين التراب والماء وفي آخر (من حمإٍ مسنون) اشارة الى الطين المتغير بالهواء أدنى تغير وفي آخر (من طين لازب) اشارة الى الطين المستقر على حالة من الاعتدال يصلح لقبول الصورة وفي آخر (من صلصال من حمإٍ مسنون) اشارة الى يبسه وسماع صلصلة منه وفى آخر (من صلصال كالفخار) وهو الذي قد أصلح بأثر

من النار فصار كالخزف وبهذه القوة النارية وجد في الانسان أثر من الشيطنة كما يشير اليه قوله تعالى (خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار) ففيه تنبيه على أن فيه من الشيطنة قدر مافي الفخار من أثر النار وان الشيطان من المارج الذي لااستقرار له : ولما كونه تعالى من هذه العناصر كله بنفخ الروح فيه ثم وهبه قوة العقل والفكر والنطق قال تعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فجعلنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) وبهذا تعلم أن تكوين الانسان بجميع أفراده آدم وأولاده من النطفة . وهى من الغذاء والغذاء من الحيوان والحيوان من النبات والنبات من سلالة من طين

﴿ تتمة التمهيد أو كلمة فيما انطوى عليه الهيكل الانسانى ﴾

قد علمت فيما تقدم أن الله سبحانه وتعالى جعل الانسان

عالما بنفسه حتى أودع فيه ملكا نظيما. وأقام فيه لتدبيره ملكا عظيما . وأيقظه من سنة الغفلة وأشار اليه أن يفتح عين بصيرته ويتأمل في هذا الملك العظيم والملك الكريم الذى جعله له تمثالا لذاته وصفاته ليجمله بالمعارف ويكسوه أردية الجمال وحلل الكمال . لذلك كان من الفائدة التامة معرفة ما انطوى عليه ذلك الهيكل الانساني من النفس والروح والقلب والعقل . اذ بذلك نحصل على حقائق علمية ندرك بها فوائد تأخذ بالباحث المدقق الى ما نرمي اليه من معرفة الله تعالى التى هى أول الواجبات كما قلنا . ولهذا نقول اعلم أولا أن الانسان يطلق تارة على الجسد دون النفس كما في قوله تعالى المتقدم (خلق الانسان من صلصال كالفخار) وقوله (فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق) وقوله (أيحسب الانسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى) فان هذه بلا شك صفة للجسد لا للنفس اذ الروح لا توجد فيه الا بعد خلق الانسان الذى هو الجسد . وتارة على النفس دون الجسد كما في قوله عز من قائل (ان الانسان خلق هلوعا اذا

مسه الشر جذوعا واذا مسه الخير منوعا) فان هذا صفة للنفس لا للجسد اذ الجسد موات والفعالة هي النفس وهى المميزة الحية الحاملة لهذه الأخلاق وغيرها ويطلق أيضاً على مجموعها فنقول فى الحى هذا انسان وهو مشتمل على الجسد والروح . وبهذه الآيات ونحوها تعلم خطأ من قال انه لا يطلق الا على مجموع النفس والجسد : والنفس جوهر مجرد عن المادة قائم بنفسه غير متحيز ولا قابل للاشارة الحسية . ولها مراتب مختلفة توصف بها بأوصاف مختلفة بحسب أحوالها فاذا سكنت تحت الامر وزايلها الاضطراب بسبب الشهوات سميت النفس المطمئنة قال الله تعالى (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية) واذا لم يتم سكونها ولكن صارت مدافعة للشهوات معترضة على النفس الشهوانية سميت اللوامة للومها صاحبها عند تقصيره فى عبادة الله قال تعالى (ولا أقسم بالنفس اللوامة) واذا تركت الاعتراض وانقادت لأوامر الشيطان سميت الأمارة بالسوء قال تعالى (ان النفس لأمارة بالسوء) وهذه هي المذمومة المشار اليها فى قوله صلى

الله عليه وسلم . أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك والروح هي والنفس اسمان مترادفان لمعنى واحد ولذلك قال الغزالى ان الروح ليس بجسم يحل فى البدن حلول الماء فى الاناء ولا هو عرض يحل بالقلب والدماغ حلول السواد في الأسود والعلم فى العالم بل هو جوهر وليس بعرض لانه يعرف نفسه وخالقه ويدرك المعقولات وهذه علوم والعلوم عرض وقيام عرض بعرض غير معقول وليس بجسم لان الجسم قابل للقسمة والروح لا ينقسم لأنه لو انقسم لجاز أن يقوم بجزء منه علم بشئ وبجزء آخر جهل بذلك الشئ بعينه فيكون في حالة واحدة عالما بشئ جاهلا به فيتناقض والعلم والجهل بشئ واحد فى حق شخص واحد محال الخ ما قال ولا يقال ان هذا خوض وافاضة في أمر الروح والخوض فيه بدعة في الدين لان الله لم يبين حقيقتها فى الكتاب . لما لايخفي على ذي بصيرة من قوله تعالى (قل الروح من أمر ربي) فان فيها الجواب ببيانها لان السؤال عنها من النبي عليه الصلاة والسلام انما كان عن صورتها وقدمها وحدوثها وعليه

فمعني قوله من أمر ربى أنها من ابتداعاته الكائنة بتكوينه من غير سبق عادة وتولد من أصل . أو أنها وجدت بأمره وحدثت بتكوينه وليست عرضاً يحل فى الأجسام ولا جسما لطيفاً ينبث مماسا للأبدان ولا متداخلا فيها . فبين أنها من (عالم الامر) لامن (عالم الخلق) . والامر التدبير فى الارواح الباطنة وعالمه الموجودات الخارجة عن الحس والجهة والمكان والخلق التقدير فى الأشباح الظاهرة وعالمه الاجسام وعوارضها قال الله تعالى (ألا له الخلق والأمر) وهذا دليل على جعل الخلق غير الامر . وبما قررناه تعلم ان للعقول سبيلا الي معرفتها ولو بوجه ما والا كان من العبث أمر الله تعالى بالتفكر والتبصر فى أمر النفس للاستدلال عليه والتوصل اليه فى مثل قوله (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) وقوله (أولم يتفكروا فى أنفسهم) تعالى الله وأمره عن ذلك علواً كبيراً وأما امساك جمهور من السلف عن الافاضة فى بيانها فلعله لاشتغالهم بما هو أهم في الدين : والقلب يطلق لمعنيين أحدهما اللحم الصنوبرى الشكل المودع فى الجانب الايسر من الصدر

وهو لحم محسوس وهذا ليس هو المراد فى القرآن والحديث والثانى لطيفة ربانية روحانيـة لهـا تعلق بالقلب الجسمانى المذكور وتلك اللطيفة هى المدركة للمعارف وهو في الحقيقة الانسان المطالب والمخاطب والمثاب والمعاقب وهذا هو المراد بمثل قوله تعالى (ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب) وقوله (لهم قلوب لا يفقهون بها) وقوله فى الحديث القـدسى (ما وسعنى الا قلب عبـدى المؤمن) : والعقـل يطلق على القوة التى بها الادراك وهو بهـذا الاطلاق من صفات المـكلف وسبب لحصول علمه لأنه يمكن وجود النفس مع عدم القوة المذكورة كما لا يخفى . وعلى الجوهر المجرد الذى لم يتعلق بالجسم تعلق تصرف وتدبير وهو المشار اليه بقوله عليه السلام (أول ما خلق الله العقل) الحـديث على فرض صحته وحال نفوسنا بالقياس اليه كحال أبصـارنا بالقياس الى الشمس فـكما أن باقاضة نور الشمس تدرك المبصرات كذلك باقاضة نوره تدرك المعقولات : وفى هـذا القـدر كفاية اذ التعمق بأكثر من هذا يوجب القال والقيل . على أننا معها بحثنا فى هذا

بأسالينا القاصرة فلن نقف منها على ما لا اعتراض فيه ولا انتقاد : واعلم أن للعقل أحكاما ثلاثة تتوقف عليها مباحث (فن التوحيد) وهى الوجوب والاستحالة والجواز . لذلك تحتم علينا أن نبين معانيها فنقول الوجوب العقلى هو عدم قبول الانتفاء والذى لا يقبل ذلك يقال له الواجب وهو قسمان نظرى يحتاج الى برهان كوجود الخالق سبحانه وبديهى لا يحتاج الى ذلك ككون الواحد نصف الاثنين . والاستحالة عدم قبول الثبوت والذى لا يقبل ذلك يقال له المستحيل وهو قسمان أيضاً نظرى كوجود شريك لله تعالى وبديهى ككون الاربعة نصف العشرة ويسمي المستحيل محالا أيضاً . والجواز قبول الثبوت والانتفاء والذي يقبلهما يقال له الجائز وهو قسمان كذلك نظرى كانقلاب العصا ثعبانا بقدرته تعالى وبديهى كسفر زيد ويسمي البديهى عاديا أى يحصل وقوعه فى العادة ولا تستغربه العقول . والنظرى غير عادى بمعني أنه يندر وقوعه فى العادة أو أنه لم يقع قط ولذلك تستغربه العقول فى بادى الأمر

ولكن اذا بحث عنه بالدليل يوجد أنه جائز الوقوع وليس مستحيل الوجود

﴿ التوحيد ومدونوه والتقليد ﴾

التوحيد علم يبحث فيه الباحثون عن اثبات العقائد الدينية بما يفيد اليقين لاسيما عن وجود الحق سبحانه ومايجب أن يوصف به من صفات الكمال وما يجوز في حقه وما يستحيل عليه . وعن الرسل لاثبات رسالتهم وما يجب أن يثبت لهم من الصفات وما يجوز أن ينسب اليهم وما يستحيل أن يلحق بهم . وأصل معناه اعتقاد الوحدانية لله تعالى وتنزيهه عن الندوالشريك . وقد كان في زمن الصحابة رضوان الله عليهم عبارة عن أن يرى الموحد جميع الأمور ظاهرها وباطنها من الله تعالى من دون أن يلتفت الى سبب من الأسباب ولا واسطة من الوسائط لذلك كانت الصحابة لا ترى مثل الخير والشر والقضاء والقدر الا من الله مبدؤه واليه منتهاه وامامهم الوحيد في ذلك كتاب الله (القرآن) اذ

هو المرشد الى طرق الهداية وسبل النجاة كيف وقد تكفل بالبراهين القاطعة على وجوده تعالى واتصافه بكل مايجدر بعظمته وجبروته من صفات الكمال . كما تكفل ببيان لوازم الهيئة الاجتماعية وشرح مقتضيات المدنية وما يلزم لبني الانسان فى حالتى المعاش والمعاد . ولهذا كانوا غير معتدين بما سواه . ولا جانحين الى ماعداه . حيث كانوا على منهج الفطرة لم تخالج خواطرهم العقائد الفاسدة ولم تشب ضمائرهم شوائب الشك والارتياب . فلم يحتاجوا الى صناعة الكلام ومعرفة سبل المجادلة والاحاطة بطرق مناقضات الخصوم لما فيها من اثارة الشبهات . وتأليف الامور التى جعلت بعدهم من المباحث والمهمات . ولأجل هذا لم يقم لديهم داع لتدوين هذا العلم كما قام عند المتأخرين الذين كثر فيما بينهم القال والقيل حتى اضطربت الأفكار فى المناقضات بين بعضهم بعضاً وتفاوتت الأفهام . فساءت الأوهام . وتباينت المراتب فتولدت المشاغب . ولولا مثل هذا الاضطراب ماتفرقت هذه الامة على مذاهب شتى وقد نص على تفرقها النبى صلى

الله عليه وسلم في قوله . ستفترق أمتي ثلاثاً وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة قيل ومن هم قال الذين هم على ما أنا عليه وأصحابي . هـذا . والتوحيد الذي جاء به الاسلام ليس الا ما جاء به الرسول لاستئصال شأفة الضلال من النفوس بازالة شائبة الاعتقاد بأى أثر من آثار المادة ونحوها وصرف النفس عن التوجه الى تلك الآثار بالحس لتتوجه الى واجب الوجود بالضمير والاكتفا باستحضار هيبة جلاله في القلوب وتمكين الاعتقاد بأن ما يرى من الآثار بالعيان انما يقوم بالمؤثر المستحضر في الضمير الخارج عن العيان والحس . اذ بدون ذلك لا يقوم للتوحيد أثر في النفوس ينجى من مزلة القدم ويبعد عن الضلال المفضي الى الشرك الذى يوقع في الهلاك : وأشهر من دون كتب هذا العلم وأقام البراهين على رد ماقاله المخالفون الشيخ أبو منصور الماتريدي والشيخ أبو الحسن الاشعري لذلك شاع أنهما الواضعان له . وتفترض معرفة سائر العقائد الدينية على كل مكلف بأدلتها ولو الاجمالية وأما التفصيلية فهي فرض كفاية والصحيح أن من قلد غيره

فيها بأن يعتقدها اعتقاداً جازما لايقبل الشك يكون صحيح الايمان والاسلام ولكنه يأثم بترك النظر فى الأدلة متى توفرت لديه القدرة على ذلك والا فلا :

﴿ الايمان وزيادته ونقصانه والاسلام والشهادتان ﴾

ان الايمان فى لسان أهل اللغة مطلق التصديق . وأما فى لسان أهل الشرع فقد اختلفت أرباب المذاهب فى حقيقته هل هو الاعتقاد بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والقدر خيره وشره فقط أم الاعتقاد والعمل معاً . واختلافهم بحسب اختلاف نظرهم . فمن قال انه الاعتقاد بما ذكر فقط فقد نظر الى اشتقاق اللفظ ولان الله تعالى فصل بينه وبين الاعمال فى القرآن فى مثل قوله عز شأنه (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) حيث عطف الثاني على الاول . والعطف يقتضي المغايرة وعدم دخول المعطوف فى المعطوف عليه . ولأن الرسول عليه السلام فرق بينهما فى خبر جبريل حينما سأله عن الاسلام والايمان ففسر الاول بالاعمال والثانى

بالاعتقاد : والحق أن لا دليل فى هذا لان تفسيره عليه السلام ذلك ليس لأن الاعمال خارجة عن الايمان أو أن التصديق بالقلب ليس من الاسلام بل هو تفصيل لجملة هى كلها شئ واحد وجماعها الدين ولذلك قال عليه السلام . ذاك جبريل أتاكم ليعلمكم دينكم . والتصديق والعمل يتناولهما اسم الايمان والاسلام جميعاً يدل عليه قوله تعالى (ان الدين عند الله الاسلام) وقوله (ورضيت لكم الاسلام دينا) وقوله (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه) فقد أخبر سبحانه أن الدين الذى رضيه ويقبله من عباده هو الاسلام ولا يكون الدين فى محل الرضا والقبول الا بانضمام التصديق الى العمل ومن قال انه الاعتقاد والعمل معاً فقد نظر الى صريح مثل قوله تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا) وقوله صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس آمركم بأربع الايمان بالله وهل تدرون ما الايمان بالله شهادة أن لا إله الا

الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس . كما فى الصحيحين وقوله عليه السلام الايمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة وان أفضلها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان. كما فيهما أيضاً ولفظه لمسلم قال الخطابى فى هذا الحديث بيان أن الايمان الشرعي اسم بمعني ذى شعب وأجزاء له أدنى وأعلى فالاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها والحقيقة تقتضى جميع شعبه وتستوفي جملة أجزائه كالصلاة الشرعية لها شعب وأجزاء والاسم يتعلق ببعضها والحقيقة تقتضى جميع أجزائها وتستوفيها ويدل عليه قوله عليه السلام الحياء شعبة من الايمان وفيه اثبات التفاضل فى الايمان وتباين المؤمنين فى درجاته انتهى . وقد أنكر كثير من السلف الصالح على من أخرج الاعمال عنه انكاراً شديداً . وممن أنكره على قائله سعيد بن حبيب وميمون بن مهران وقتادة والنخعى والزهرى ويحيي بن أبى كثير وغيرهم وقال الثورى هو رأي محدث أدركنا الناس على غيره وقال الأوذاعي كان من مضي من

السلف لا يعرفون الايمان الا العمل . وكتب عمر بن عبد العزيز الى أهل الامصار أما بعد فان للايمان فرائض وشرائع وسنناً فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان . كما فى صحيح البخاري : ولنا فى بيان القول الاحق من هذين القولين كلام نستوفيه فى غير هذا الكتاب : وأما زيادته ونقصانه فقد قال بعدمهما من نظر الى أنه التصديق فقط . لان التصديق الذي بلغ حد الاذعان لا يتصور فيه زيادة ولا نقصان حتى أن من وجدت لديه حقيقته فسواء أتى بالطاعات أو بضدها فتصديقه باق لا يتغير : وقال بهما من نظر الى كون الاعمال داخلة في حقيقته والاعمال يتصور كمالها تارة ونقصها أخرى : والاسلام فى اللغة مطلق الاستسلام والانقياد وفي الشرع استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده ظاهراً وباطناً لما دعا اليه النبي وعلم مجيئه به يقيناً وذلك يكون بالعمل . وهو الدين كما سمى الله ذلك الاسلام ديناً فى كتابه العزيز . وبهذا تعلم ان كلا من الايمان والاسلام المنجيين لا ينفك عن الآخر فكل مؤمن مسلم وكل مسلم

مؤمن : ثم ان النطق بالشهادتين وهما أشهد أن لا اله الا الله وأشهد ان محمداً رسول الله أمر لا بد منه لاجراء الأحكام الدنيوية عليه نحو المناكحة والدفن في مقابر المسلمين فان لم ينطق بها المؤمن لمانع منعه فهو مؤمن عند الله تعالى ناج من عذابه يوم القيامة : أما اذا كان عدم النطق جحوداً وعناداً فهو كافر ولا عبرة بتصديقه اذ قد جعل الشارع مثل هذا الامتناع منافيا للدين وحكم بكفر صاحبه

﴿ الايمان بالله والدليل على اتصافه بكل كمال ﴾

الايمان به تعالى أن يصدق العبد بما وصف الله به نفسه في كتابه الأقدس وما وصفه به رسوله الأمين من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل اذ (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) : وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة الذين سلكوا سواء السبيل حتى كانوا وسطا في فرق الامة : وأن يعتقد اجمالا بوجوب كل صفة كمالية له تعالى تليق بعظمته وجبروته واستحالة كل نقص عليه وجواز فعل

كل ممكن أو تركه فى حقه . سبحانه . لكن يجب عليه أن يعتقد تفصيلا بوجوب ثلاث عشر صفة كمالية له تعالى عليها مدار الألوهية وباستحالة اضدادها عليه : وكمال الاعتقاد بالحجج المفيدة لليقين . وتلك الصفات منها مالا يتعلق بشئ من الاشياء أى لا يكون بها تخصيص شئ ولا ايجاده ولا كشفه ولا الدلالة عليه . وهي الوجود والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث وقيامه بنفسه والوحدانية والحياة . ومنها ما يتعلق بالاشياء . وهى الارادة والقدرة والسمع والبصر والعلم والكلام أما الارادة والقدرة فيتعلقان بالجائز فقط لا بالواجب ولا بالمستحيل غير أن الارادة تتعلق به تعلق تخصيص فيخصص الله بها فى الازل الجائز ببعض مايجوز عليه . مثلا يخصص فى الازل فلانا بأنه يوجد أم لا وبأنه اذا وجد يكون على صفة كذا فى زمن كذا فى مكان كذا في جهة كذا . وبهذا التخصيص يجب أن يكون هذا الجائز على ماخصصه الله به بارادته ويستحيل أن يكون بخلاف ذلك والا كان الله كارها مقهوراً يحصل في ملكه مالا يريد تعالى الله عن ذلك . والقدرة تتعلق

به تعلق تأثير بايجاده أو اعدامه على طبق ماتعلقت به الارادة فى الازل مثلا اذا تعلقت ارادته في الازل بايجاد فلان على صفة مخصوصة في زمان ومكان مخصوصين فاذا جاء الزمان الذى تعلقت ارادته بايجاده فيه تعلقت قدرته بايجاده فيوجده فيه بقدرته على الصفة التى خصصه بها فى المكان الذي خصصته الارادة بدون تخلف والا لزم تخلف ارادته تعالى وهو محال . وعدم تعلق كل من الارادة والقدرة لا ايجاداً ولا اعداما بالواجبات كذاته تعالى وصفاته وملازمة الجرم للحيز . ولا بالمستحيلات كالشريك له تعالى والجمع بين النقيضين فلان الواجب حاصل حتما ولا يمكن خروجه عن الوجود الى العدم . فلا يتعلقان به لا ايجاداً لان ذلك تحصيل حاصل وهو محال ولا اعداما لاستحالة عدمه وخروجه عن الوجود . ولان المستحيل معدوم حتما ولا يقبل الوجود فلا يتعلقان به لا اعداما لانه تحصيل حاصل ولا ايجاداً لاستحالة وجوده وخروجه عن العدم : وأما السمع والبصر فيتعلقان تعلق انكشاف بجميع الموجودات واجبات أوجائزات لا بالمعدومات

مستحيلات أو جائزات فيرى سبحانه ذاته الكريمة ويسمع كلامه كما أنه يرى كل مرئ ومسموع جائز فى مخلوقاته :وأما العلم والكلام فيتعلقان بكل من الواجبات والمستحيلات والجائزات الموجودات منها والمعدومات . أما علمه تعالى فيتعلق بها تعلق انكشاف فيعلم بعلمه الواجب وأنه واجب والمستحيل وأنه مستحيل والجائز وأنه جائز ولا يعزب عن علمه شئ فى الارض ولا في السماء ولا نهاية لمعلوماته . وأما كلامه فيتعلق بها تعلق دلالة فيدل ذلك الكلام الذى ليس بحرف ولا صوت على كل واجب ومستحيل وجائز موجود أو معدوم بكل ما هو عليه ويفهم سبحانه بكلامه كل واحد منها لمن أراد افهامه من عباده كملائكته ورسله . وأضداد هذه الصفات أجمع العدم والحدوث والفناء والمماثلة للحوادث وقيامه بغيره وأن يكون متعدداً فى ذاته وصفاته وأفعاله والموت والكراهة والعجز والجهل والصمم والعمى والبكم وستعلم استحالة كل من هذه الاضداد فى الفصل الآتى : هذا والدليل على وجوب اتصافه بكل كمال واستحالة النقصان عليه نظام هذا الوجود البديع الا نموذج الذى نحاربه

الافكار وتقف دونه العقول فقد أبدعه الخالق سبحانه على أحسن شكل وأودعه من الاتقان كماله ومن الاحكام غايته ومن كانت مصنوعاته متقنة محكمة فمن الواجب اتصافه بسائر صفات الكمال التى لايجاريه بها أحد ولا يباريه بوصف منها انسان . اذ لو اتصف بالنقص لاتصف بالعجز والعجز بالبداهة مخل بالنظام واننا فى جميع ماتصوره لا نجد الشئ يوجد مثله فضلا عن أن يوجد الناقص كاملا أوأن يوجد الكامل أكمل منه . ودونك الانسان الذي هو أعلم الحيوانات وأقدرها صنعا فانه مهما كان بديع الصنع والابتداع فلا يقتدر على ايجاد نبات فضلا عن أن يصنع مثله أو أكمل منه من حيوان أو انسان . ولا يقال إنا كثيراً مانشاهد من الناس أشياء كثيرة تجري على أيديهم من مثل المخترعات وظهور النباتات والحيوانات لما أن ذلك بمباشرة الامور التى جعلها الله أسبابا عادية : اذاً فيجب أن يكون الله تعالى كاملا فى ذاته وصفاته وأفعاله والا كان دون مصنوعاته وذلك خلاف ما تصدق به العقول : ثم ان من صفاته تعالى الكمالية الصفات الثلاث عشرة المتقدمة لو

يكن الله متصفاً بها لاتصف باضدادها وذلك عليه محال

﴿ جولة حسنة في أدلة الثلاث عشرة صفة ﴾

ليكن فى علمك أن هذا العالم بجميع مايشتمل عليه حادث كما ستقف عليه بعد هذا الفصل وكل حادث لا بد له من موجد يخرجه من العدم الى الوجود اذ لو وجد بدون ذلك للزم الترجيح بلا مرجح وهو من المستحيلات البديهية ولا بد لهذا الموجد أن يكون وراء جملة الممكنات . اذ لا يمكن أن يكون عينها لاستلزامه تقدم الشئ على نفسه . ولا جزأها لاستلزامه أن يكون الشئ سببا لنفسه ولما سبقه ان لم يكن الأول ولنفسه فقط ان فرض أول وهو ظاهر البطلان : فثبت أن للممكنات الموجودة واجب الوجود . ومن المحتم أن يكون ذلك الواجب قديما أزليا اذ لو لم يكن كذلك لكان حادثا والحادث ماسبق وجوده بعدم فيكون وجوده مسبوقا بعدم وكل ماسبق بذلك يحتاج الى علة تعطيه الوجود والا لزم رجحان المرجوح بلاسبب وهو محال . فلو لم يكن الواجب

قديما لكان محتاجا في وجوده الى موجد غيره وموجده الى آخر وهكذا وهو باطل . وقدمه تعالى لذاته لا لأمر آخر اقتضاه : وان يكون باقياً والا لزم سلب ماهو لذاته عنها وذلك يرجع الى سلب الشئ عن نفسه وهو بالبداهة محال . وأن يكون مخالفا للحوادث اذ لو شابهها في شئ من خواصها كالجوهرية والجسمية والعرضية والاتصال والانفصال لكان مثلها فيجوز عليه ما يجوز عليها من الحدوث والفناء وقد علمت وجوب قدمه وبقائه . وأن يكون قائما بنفسه والا كان جوهراً أو جسما يحتاج الى مكان يحويه أو عرضاً يفتقر الى محل يحل فيه فيكون مماثلا للحوادث والحادث محتاج الى مخصص يخصصه وموجد يوجده وقد قام الدليل على وجوب المخالفة : ولا يقال قد ورد فى نصوص الشريعة نسبة كثير من الاشياء له تعالى تستلزم مماثلته للحوادث نحو قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) وقوله (ويبقى وجه ربك) وقوله (يد الله فوق أيديهم) وقوله (وجاء ربك) وقول النبى عليه السلام ينزل ربكم الى سماء الدنيا وقوله ان الجبار يضع قدمه

في النار الى غير ذلك من النصوص . لما نقول ان لهذه النصوص معانى غير ما يتبادر منها وهى صحيحة موافقة للادلة العقلية والنقلية الدلالة على وجوب المخالفة للحوادث فاستواءه تعالى صفة من صفاته القديمة اللائقة به ليس كاستواء الحادث المستلزم للجسمية والجهة ويحتمل أن المراد منه الاستيلاء والقهر . وكذا المجيء والنزول صفتان من الصفات القديمة لا كمجيء ونزول الحادث المستلزمين للانتقال من حيز الى آخر ويحتمل أن المراد منهما الاقبال على عباده ومن قوله وجاء ربك أمره وسلطانه وقد ورد الكل فى اللغة العربية . ونقول ان له تعالى وجهاً ويداً ويميناً وقدما تليق به ليست كأعضائنا المستلزمة للتجزؤ والمقدار ويحتمل أن المراد بالوجه الذات وباليد واليمين والقدم القدرة ولكل شواهد نطقت بها لغتنا العربية التى جاء بها القرآن والحديث وهكذا يجرى التأويل فى كل ماورد من المتشابهات والأسلم تفويض معرفة حقيقتها المرادة منها الى الله تعالى ولا حاجة للتأويل الا لدفع مذهب متبدع أو رفع وساوس الشيطان . وان يكون

واحدا ذاتا ووصفاً ووجودا وفعلا أما الوحدة فى الذات فلانه لو كان مركبا فى ذاته لتقدم وجود كل جزء من أجزائه على وجود جملته التى هى ذاته وكل جزء من أجزائه غير ذاته بالضرورة فيكون وجود جملته محتاجا الى وجود غيره وذلك محال . وأما الوحدة فى الصفة أى أنه لايساويه فى صفاته موجود فلأن الصفة تابعة لمرتبة الوجود وليس فى الموجودات مايساوى الحق سبحانه فى مرتبة وجوده فلا يساويه فيما يتبع الوجود من الصفات . وأما الوحدة فى الوجود وفى الفعل ونعنى بها التفرد بوجوب الوجود ومايتبعه فى ايجاد الممكنات فهى ثابتة لامحالة لأنه لو تعدد واجب الوجود لكان لكل واحد تعين يخالف تعين الآخر بالضرورة والا فلامعنى للتعدد فيختلف العلم والارادة حسب اختلاف الذوات الواجبة اذ يكون لكل واحدة منها علم وارادة يباينان علم الأخرى وارادتها . ومتى كان التخالف فى العلوم والارادات . فلابد من التخالف فى الافعال فيفسد نظام الكون بل يستحيل وجود ممكن من الممكنات لأن كل واحد منها لابد أن يتعلق

به الايجاد على حسب العلوم والارادات المختلفة فيلزم أن يكون للممكن الواحد وجودات متعددة وذلك بالبداهة محال : قال الله تعالى (ولو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) لكن الفساد ممتنع لما نشاهده من تمام النظام فثبتت الوحدة فى ذاته تعالى وصفاته لا شريك له فى وجوده ولا فى أفعاله : وأن يكون حيا اذ المعدوم لا يصلح أن يكون موجد شيء مافلا يوصف بالصفات القديمة : وأن يكون عالما والا لكان فى الموجودات الممكنة ماهو أكمل من واجب الوجود اذ العلم كمال فى الموجودات الممكنة ومن الممكنات من هو عالم ووجود أكمل منه محال . ونظام هذه العوالم من الاحكام والاتقان ووضع كل شيء فى موضعه وقرن كل ممكن بما يفتقر اليه في الوجود والبقاء أعظم دليل على ثبوت العلم له تعالى : وأن تكون له الارادة التامة اذ الموجد لهذه الممكنات العالم بحالها وما عليها لابد أن يكون مريدا لانه انما يفعل باختياره على حسب علمه : وأن تكون له القدرة التي بها الايجاد والاعدام اذ المبدع لهذه الكائنات على مقتضى علمه وارادته لابد أن يكون قادرا لان

فعل العالم المريد فيما علمه وأراده انما يكون بقدرة له على الفعل وهـذه الصفات الثلاث الاخيرة تستلزم بالبداهة ثبوت الاختيار له تعالى اذ لا معنى له الا اصدار الأثر بالقدرة على مقتضى العلم وحكم الارادة فهو الفاعل المختار : وأن يكون سميعاً وبصيراً ومتكلما اذ الصمم والعمى والبكم نقص . والنقص على من أوجد العوالم العلوية والسفلية ووهب السمع والبصر والكلام لبعض أنواعها وجعلها من أكبر النعم عليهم محال . غير أن سمعه تعالى وبصره ليس بآلة ولا جارحة ولا حدقة ولا باصرة وكلامه ليس بحرف ولا بصوت . ويسوغ لنا أن نكتفي بكل من هذه الصفات الاخيرة بالدليل السمعي من نحو قوله تعالى (وهو السميع البصير) وقوله (وكلم الله موسى تكليما) وبذلك نخرج من ربقة التقليد

﴿ كلمة موجزة في الدليل على حدوث العالم ﴾

ان قولنا فيما تقدم العالم بجميع مايشتمل عليه حادث يحتاج الى دليل تطمئن به النفس ويرتاح له الضمير : وقد

أقامت علماء الاسلام على ذلك أدلة كثيرة تجلو عن القلوب الغشاوة واني أذكر لك دليلين يطيب بهما قلبك فأقول: الدليل الأول . ان من المعلوم أن كل شخص في العالم وكل عرض في شخص فهو متناه ذو أول . نشاهد ذلك بالحس والعيان اذ تناهي الشخص ظاهر بمساحته بأول جرمه وآخره . وأيضاً بزمان وجوده وتناهي العرض المحمول بين غير خفي بتناهي الشخص الحامل له وتناهي الزمان موجود باستئناف مايأتي منه بعد الماضي وفناء كل وقت بعد وجوده واستئناف آخر يأتي بعده : اذ كل زمان فنهايته الآن وهو حد الزمانين فهو نهاية الماضي وما بعده ابتداً للمستقبل وهكذا يفنى زمان ويبتدئ آخر وكل جملة من جمل الزمان فهي مركبة من أزمنة متناهية ذات أوائل وكل مركب من أجزاء متناهية لها أول فليس هو شيئاً غير أجزائه . اذ من المعلوم بالضرورة والعقل والحس أن الكل ليس شيئاً غير الأجزاء التي يحل اليها وأجزائه متناهية ذات أوائل كما بينا : فالجمل كلها بلا شك ثابت لها التناهي والاولية . والعالم كله انما هو أشخاصه ومكانه

وأزمانها ومحمولاتها لاغير وقد علمت ثبوت الاولية لجميعها : اذاً فالعالم أجمع متناه ذو أول وكل ما كان كذلك فبداهة العقل حادث غير قديم : الدليل الثاني ان هذا العالم أعيان تحيز بنفسها واعراض تتبع في التحيز غيرها والكل حادث . أما الاعراض فحدوث بعضها بالمشاهدة كالحركة بعد السكون والسواد بعد البياض والضوء بعد الظلمة . وبعضها بالدليل وهو طروّ العدم كما في أضداد ذلك فان العدم ينافي القدم . وأما الأعيان فلأنها لاتخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان لأنهما من الأعراض والعرض غير باق وكل ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث اذ لو كان مالا يخلو عنها قديما لكانت الحوادث كذلك وهو بديهي البطلان : فثبت المدعى وانتفى ماعداه : وقد تمسك القائلون بقدم العالم بتراهات واهية . منها قولهم ان كان للأجسام محدث فلا يخلو أمره من أن يكون مثلها من جميع الوجوه أو بعضها أو خلافها من جميع الوجوه أو بعضها كذلك . فان كان من الجميع لزم أن يكون محدثاً مثلها وهكذا في محدثه أيضا . وان كان مثلها في البعض

فكذلك يلزم له الحدوث اذ الحدوث اللازم للبعض كلزومه للكل ولا فرق وان كان خلافها من الجميع فمحال أن يفعلها لان هذا هو حقيقة الضد والمناقض اذ لا سبيل الى أن يفعل الشيء خلافه من جميع الوجوه كما لا تفعل النار التبريد : ولا يخفى عليك بطلان ذلك اذ الله لا يوصف بأنه ضد لخلقه لان الضد ما حمل حمل التضاد والتضاد اقتسام الشيء طرفي البعد تحت جنس واحد فاذا وقع أحد الضدين ارتفع الآخر وهذا الوصف بعيد عن الله تعالى وانما التضاد مثل البياض والسواد اللذين يجمعهما اللون . والفضيلة والرذيلة اللتين يجمعهما الخلق ولا يكون الضدان الا عرضين تحت جنس واحد وكل هذا منفي عن الخالق سبحانه . فبطل بالضرورة كون الله تعالى ضداً لخلقه . ثم ان قولهم لو كان خلافا لخلقه من جميع الوجوه لكان ضداً لهم ظاهر الفساد . اذ ليس كل خلاف ضداً فالجوهر خلاف العرض من كل وجه حاشا الحدوث فقط وليس ضداً له : وبالجملة فقد ظهر لك جليا حدوث هذا العالم بجميع ما يشتمل عليه بما ذكرنا من الدليلين

اللذين بهما يتأيد الحق على الباطل ويظهر الغث من السمين

﴿ فعل الممكن أو تركه ورؤية الله تعالى ﴾

يجوز عليه تعالى فعل كل ممكن أو تركه مهما كان الممكن دقيق الصنعة لما علمت فيما تقدم من تمام قدرته وكمال علمه وكل جائز قابل للوجود والعدم فيكون سبحانه قادراً على ايجاده واعدامه . ومما يجوز فعله أو تركه خلق الخير والشر لانه تعالى فاعل مختار . والشر يكون شراً بالنسبة الينا ولذلك نؤاخذ به وبمخالفة النهى عنه لا بالنسبة اليه تعالى فلا يقال ان فعل كذا شر وفعل كذا خير بالنسبة اليه اذ لا ينتفع سبحانه بشيء ولا يتضرر من شئ . وبهذا يبطل ما ادعاه بعض المبتدعة : ومنه فعل غير الصالح والأصلح فى حق عباده ولا يجب عليه فعل الصالح والاصلح في حقهم والا لما خلق الكافر الفقير المعذب فى دنياه بالفقر وفي أخراه بالنار . وبه يبطل أيضاً ما لبعض المبتدعة : ومنه ارسال الرسل لعباده وليس ذلك واجبا عليه ولا مستحيلا بل هو فضل منه ورحمة

ومنه أن ينظر بالابصار عيانا كما تنظر الشمس التى ليس دونها سحاب غير ان رؤيته تعالى لم تقع فى الدنيا لغير الرسول عليه السلام والدليل على جوازها عقلا . ان العقل اذا خلى ونفسه لم يحكم بامتناعها بل يحكم بجوازها ما لم يقم برهان على الامتناع مع أن الاصل عدمه وهذا القدر ضرورى فى امكانها . ومن ادعى امتناعها فليأت بالبرهان وقد استدل على الامكان بعض المحققين بما محصله . انا جازمون برؤية الأعيان والأعراض ولا بد للرؤية التى هى حكم مشترك من علة مشتركة وهى اما الوجود أو الحدوث أو الامكان والحدوث عبارة عن الوجود بعد العدم والامكان عبارة عن عدم ضرورة الوجود والعدم ولا مدخل للعدم فى العلية فلا يكون للحدوث والامكان مدخل فيها فتعين الوجود وهو مشترك بين الخالق والمخلوق فتصح رؤية الله تعالى من حيث تحققت علة الصحة وهي الوجود ما لم يقم البرهان على الامتناع وكذا رؤية سائر الموجودات من الاصوات والطعوم والروائح ونحوها غير ان عدم رؤيتنا لها ليس الا لكون الله تعالى لم

يخلق فى العبد رؤيتها بطريق جري العادة : وهى واجبة شرعا للمؤمنين فى الأخرى باتفاق أهل السنة والجماعة لقوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) ونظر الوجوه يكون بحاسة البصر ويدل لهذا تعديه بالى ولا يصح أن يكون هنا بمعنى الانتظار والا لتعدى بنفسه . على أن الانتظار غم لا يصح أن يكون بشارة ولا بمعنى التفكر ولا لتعدي بفي . وقوله عليه السلام انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر وهو مشهور رواه كثير من أكابر الصحابة . ولاجماع الامة فقد أجمعت فى الصدر الأول على وقوعها فى الآخرة . وخلاف عائشة رضي الله عنها انما هو فى الوقوع ليلة المعراج . وتكون وقتئذ بلا كيف ولا انحصار وعليه فلا يعترض بقوله تعالى (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) فان معناه لا تدركه بكيفية من كيفيات الحوادث ولا انحصار بحدود ونهايات . واعلم أن هذه المسألة قد اشتد فيها النزاع ثم انتهى الى وفاق بين المنزهين لا مجال معه للتنازع . اذ القائلون بجواز الرؤية متفقون على أنها لا تكون على المعهود من رؤية البصر

المعروفة لنا فى مجرى العادة بل هى رؤية لا كيف فيها ولا انحصار ومثل هذه لا يكون الا ببصر يختص الله به أهل الآخرة أو تتغير فيه خاصته المعروفة فى الدنيا وهو مالا يمكننا الخوض فيه وان صدقنا بوقوعه . والمنكرون لجوازها لم ينكروا انكشافا يساويها فسواء كان ذلك بالبصر غير المعهود أو بحاسة أخرى فهو فى المعنى يرجع الى قول خصومهم . ولكن مني الاسلام بقوم يميلون كل الميل الى الخلاف والله فوق ما يظنون

﴿ تتمة الباب . أوامر الله ونواهيه . أو المحافظة على الوقت ﴾

ان من المقرر المعلوم لدى فلاسفة الاسلام وأى حكيم من الحكماء أن العاقل من يحافظ أولا على أوقاته الثمينة حتى لاتنفد أدراج الرياح ولا تضيع من بين أيديه سدى ويجد ثانيا فى تحصيل مايعود عليه وعلى وطنه العزيز بالنفع التام فلايكون عمله ممقوتا فى نظر العقلاء يصبح به مضغة فى أفواه المتكلمين : لذلك أراني وان كنت حديث السن لا أحب

أن أضيع وقتا من أوقاتى هباء ولا أشتغل بخرافة تشوه محيا الآداب ولا تراهـة تنادى بالويل والدمار. لاسيما فى هذه الايام أيام المخترعات والمكتشفات لعلمي أن الوقت غال ليس بالرخيص والمنفعة العائدة على الأمة والوطن دونها القناطير المقنطرة من الذهب والفضة كيف لا . وقد أمرنا الله تعالى بالمحافظـة على مالالأوقات نحونا من الحقوق والواجبات والاشتغال بما يودع في نفوسنا الحياة حتى نعيش عيشة طيبة نستجلب بها رضاء الله والعباد . ونهانا عن الخبـل والكسل والقيام بما يسقط الانسان من ذروة التقـدم الى حضيض التأخر كما أمرنا بأشـياء كثيرة اذا قمنا بمقتضياتها فلا جرم أن ندير شؤون الحضارة التي عليها مدار الحياة فى هذه الدار ونهانا كذلك عن أشياء اذا رغبنا عنها ورغبنا في أضدادها فلا بد أن نستوفي غاية الامتيازات الانسانيـة التى متى أحرزها الواحد منا كان انسان المدنية الحقة وعنوان الآداب . ولنذكر لك فى هذا الصدد على وجه الاجمال شيئاً من تلك الأوامر الشرعية التى كلفنا الله بها ودعانا اليها الرسول وهاتيك النواهي

مما ذكرناه في رسالتنا التي بعثنابها الى (مؤتمر) الأديان المعقود في (طوكيو) عاصمة (بلاد اليابان) حتى تعرف أيها المطلع على كتابي ما أمرت به ونهيت عنه فيتسنى لك بعد ذلك الاذعان بوجوب المحافظة نحو وقتك والايقان بصحة قولى (ان دين الاسلام دين حضارة ومدنية دين علوم ومعارف) فنقول مما أمرنا به الله ورسوله الأمين بعد التوحيد والاعتراف بالرسالة المحمدية : الاجتماع على طاعة (الخليفة) الذي يسوس الامور وأولى الامر بما لايصادم شرع الاسلام فى شيء كيما تتوحد الكلمة ولا تتفرق القلوب . والتعاون على البر واقامة شعائر الدين والامر بما يشد أزر الاخلاق العالية والنهى عما يحط بالنفوس الادبية ويزرى بشريف الاحساس: ولهذا يؤاخذ الواحد منا اذا رأى أخاه يفعل منكراً ولم ينهه وقد استطاع ذلك وظن فى نفسه التأثير . والاتصاف بالتحابب والتعاضد بحيث يحب الواحد لاخيه مايحبه لنفسه ويكون له عضداعاملا اذ بذلك تمهد سبل التعلم والتعليم وتتوطد دعائم الارتقاء . والتوشح بأوشحة الصدق فى جميع الامور حتى لا يجوز

الكذب فى شئ ما الا لقصد اصلاح وإماطة فساد بين متشاحنين بشرط عدم ضياع حق من الحقوق وقد أبيح كذب أحد الزوجين على الآخر باظهار زيادة المودة ليتوطد الوئام بينهما وتكون الألفة ضاربة الأطناب . وإقام الصلاة :وهي بكيفياتها المخصوصة وما لا بد للمصلى منه من أحكام الاقتداء والاجتماع والاصغاء نحو ما يلقيه الخطيب من الوعظ وما اشتملت عليه من الخشوع والخضوع : تعلم صاحبها الوحدة فى الرأى كما تعلمه التعاضد والتحاب فلا يكون مضطربا فى رأيه ولا جانحا بنفسه نحو الاستبداد والشقاق وتذكره ان كان غافلا وتودع قلبه روح المعرفة ان كان جاهلا وتعوده شكر المنعم والاعتراف بما عليه من الحقوق والواجبات وتمنعه عن الفحشاء والمنكر والبغي وتلبسه لباس الهيبة والوقار . وايتاء الزكاة :وبها سد رمق الفقير وقضاء حاجة المضطر : وكفى أنها تعود صاحبها السخاء فيسخو على نفسه ويجود على من يحب . وصوم رمضان: وهو يجعل فى الصائم نشاطاً به يقتدر على القيام بمهام الامور كما يجعل فيه قوة يتوصل بها الى القيام بغير المألوف

فضلا عما يودعه من القناعة بما لديه والصبر على الكوارث والخطوب والشفقة نحو الفقراء والقدرة التامة التى يقمع بها الشهوات الموقعة فى مهاوى الهلاك . والحج : ويدعو الى أشياء كثيرة منها تعارف الامم بعضها ببعض فتتبادل فى الاخلاق وتشترك فى المنافع وتؤكد فيما بينها روابط الصداقة التى بها حل عرى الاختلاف وحسبه فضلا ما تشاهده فى أيامه من رواج التجارة وانتفاع الفقير . والحلم والحياء والرحمة ولين الجانب وترجيح جانب العفو على جانب الانتقام والانصاف وحرية الضمير والايثار على النفس والنزاهة ومراعاة الشرف والتجلد والثبات والشجاعة والمروءة والتواضع والعزة والادب والعفة والزهد فى المشتبهات والتفكر وحسن النظر والتدبر فى العواقب وعلو الهمة والحكمة والتوكل على الله وحفظ قوانين الصحة والزينة وتطهير البدن والمأكل والملبس من كل ما يستقذر والختان وحلق العانة ونتف الابط وتقصير الذيل حتى لا يبدو عجب ولا كبر وجز الشارب وترك اللحية لانه أليق بالرجولية على أن لا تطول عن القدر المستحسن والا

أورث طولها أشياء لا تليق . وتعجيل النوم قبل طلوع الشمس فانه أدعى للنشاط ولا يخفى مايولده النوم بعد طلوعها من الخبل والفتور . والوضوء عقب الانتباه وأن يكرره فى كل وقت صلاة واستعمال السواك فى أثنائه وغب الاكل والنوم لازالة الروائح الكريهة وغسل جميع البدن بعد الجماع أو خروج المني والحيض والنفاس وترويض الجسم والعقل والتوسط فى الاشياء بين طرفي الافراط والتفريط والسلام والمصافحة والبعد عن مواقع التهم وإبداء الخير العمومى كتعمير المساجد والسبل واصلاح الطرقات واعداد المياه من كل غني ذى مال وبث العالم علمه متى رأى من يصغى له ويتأهل لتلقيه وعدل الانسان فيما وكل اليه ومنه عدل الوالد بين أولاده الصغار ومتعدد الزوجات بين زوجاته . والامانة والايفاء بالعهد وانجاز الوعد وأداء الشهادة حتى يؤاخذ كل المؤاخذة من يكتم شيئا مما يعلم أو يتخلف عن أدائه لدى الحاكم متى تعينت عليه واقامة العدل في الحكم بين الناس لافرق فيه بين المسلم والمسيحى والوطنى والأجنبي والفقير والغني : وقد

شددت المؤاخذة على الحاكم لو مال فى قلبه أن يكون المسلم المحق دون غيره أو بش فى وجه المتخاصمين ولو كان ممن يعز عليه . وعيادة المريض وصلة الرحم وبر الوالدين ولو ظلما وحسن المعاشرة واعطاء الموثر شيئاً من ماله الفاضل عن حوائجه للمضطر المحتاج والاشتغال بما يكسب الانسان النفقة على نفسه ومن يعول كالخياطة والزراعة والبناء وتخليص كل نفس من الأذي وإغاثة الملهوف والنحرى فى رد اللقطة الى صاحبها والجهاد لاعلاء كلمة الله : الى غير ذلك من الفضائل التى لاتحصى : ومما نهانا عنه أشياء كثيرة كالغضب والقسوة والغلظة والجفاء والنفاق والفحة والبغى فى الانتقام والاعتساف والتعصب والتختل والشح والحرص والطيش والتهور والعناد والتمرد والتضجر والجبن والكبر والمذلة والمسكنة والمباهاة وكفران النعمة والحقد والحسد والشره والبطر والاستبداد والبلادة والعجز والتسويف والميل للراحة والدعة والمجون والركون للرفاء والاسراف والتبذير والفضول والاعتماد على النفس والجور فى الحكم وقطع الرحم والعقوق . وترك الصلاة

والزكاة والصوم والحج . والغش والتغرير والافتراء والسخرية وقتل الانسان نفسه وغيره والسعي وراء ما فيه القاء النفس فى التهلكة واسقاط الجنين ولو باتفاق الوالدين والتجسس والتطلع على عورات الأغيار . وكل ما تنفر منه الأذواق السليمة وتأباه مكارم الاخلاق كالزنا واللواطة والسرقة والغيبة والنميمة وشرب المسكرات قليلها وكثيرها ومشافهة الانسان غيره بما لا يحب . والحزن ولطم الوجه والعويل عند المصيبة وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير لما يترتب عليها من الضرر وامتلاء البطن من الطعام . والاكل والشرب قائما أو ماشيا لما حذرت منه الاطباء والطيرة والتشاؤم وطلب الخير من غير أهله وطريقه واتيان البيوت من غير أبوابها واقتراف ما تتبرأ منه الشهامة وتتباعد عن مقترفه أبناء العواطف الشريفة ورجال الاحساس : وسائر أضداد الأوامر المتقدمة لك : واذ قد وقفت على هذا اجمالا عرفت (حضارة هذا الدين الاسلامي ومدنيته) وأذعنت بما له من الفضيلة ورفعة المقام . اذ لا يدعو الى فضائل الاعمال وينهى عن رذائلها سوى دين يؤيد أصوله

قانون العقل وقواعده دستور الذوق السليم . ومن أصوله المتبعة أن يحافظ الانسان على زمنه حتى لاتضيع فرصة منه هباء منثوراً وأن يأخذ بنفسه الى منصة السؤدد وذروة المجد ولا يتسنى له ذلك الا بعد القيام بمقتضيات وواجبات هذا الدين الآمر بالتعلم والتعليم والناهي عن الكسل والخمول كما ذكرنا . ومن الأسف أن كثيراً من الناس ترك القيام بمقتضيات الحضارة الاسلامية ظهريا وأشغل نفسه بخيالات وأوهام ظانا أنه على هدى ونور مع أنه بعيد عنهما : وكم رجل أضاع فرصه بمثل ما ذكرناه من المنهيات كالغيبة والنميمة واضطهاد العلم والعلماء وملأ باطنه حقداً وحسداوألبس ظاهره عجباوكبرا وادعى ما ليس فيه ادعاء من تكذبه شواهد الامتحان . مع أن مثل ذلك كله ضد الآداب والدين كما عرفت لا يرجع عليه الا بالسقوط فى نظر العقلاء : كما أن الاشتغال بالاضاليل التى يموه بها الدخيل على أفكار العامة والاباطيل التى ما أنزل الله بها من سلطان والأحاديث الملفقة كذبا وضلالا على لسان الرسول الاعظم والمواضيع التى مجتها الأذواق وأنفت منها

الاسماع : لايكسب المشتغل بها سوى المذمة والانتقاد . ومما يزيد المصيبة أخرى مارأيته وأراه من بعض الظانين بأنفسهم العلم وبأعمالهم الخير من ميلهم الى تأليف أو قراءة القصص فى مولد النبي صلى الله عليه وسلم المشحونة بالأكاذيب فضلا عن الشعر البارد والسجع الركيك والمعانى المنحطة القاضية على التقدم فى المعارف والرقي في الافكار أصلحنا الله واياهم ووفقنا لما يحبه ويرضاه وفي هذا كفاية فاحفظه ولا تضجر والسلام

﴿ الايمان بالملائكة وبيان حقيقة هاروت وماروت ﴾

الايمان بالملائكة أن يعتقد بوجودهم المكلف اعتقاداً جازما لايشوبه ريب وانهم معصومون لا ينزلون بمنكر ولا باطل (وما تنزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذاً منظرين) قائمون بعبادة الله حق القيام (يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) محترمون عند ربهم اذهم (عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون . يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون) . وما قيل ان الله تعالى أنزل الى الارض ملكين

يسميان هاروت وماروت وانهما عصيا أمره وشربا الخمرة وقتلا النفس وأنهما يعلمان الناس السحر. فما لا يسلمه مسلم عاقل لوجوه . منها أنه ليس من الحق الذى تنزل به الملائكة مثل شرب الخمر وقتل النفس التى حرم الله . ومنها نصه تعالى على عصمتهم في قوله (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون) واعلم أن قوله تعالى (واتبعوا ماتتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر)

لا بد لمن خالفنا فيما قلناه بشئ لما أن هاروت وماروت لا يخلو أمرهما من أحد وجهين إما أن لا يكونا من الملائكة قطعاً وعليه فتكون ما في قوله تعالى (وما أنزل على الملكين) نفي معطوف على قوله وما كفر سليمان أى واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان من السحر وما كفر سليمان ولا أنزل الله السحر على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت . والملكان جبريل وميكائيل لان

سحرة اليهود فيما ذكر كانت تزعم انه تعالى أنزل السحر على لسانهما الى سليمان فأكذبها الله بذلك وأخبر نبيه أن جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر قط وبرأ سليمان مما نسبوه اليه وبين أن السحر من عمل الشياطين . ويكون هاروت وماروت بدلا من الشياطين كأنه قال ولكن الشياطين هاروت وماروت ويؤيد هذا ماروي عن خالد ابن أبي عمر من قوله انهما قبيلتان من قبائل الجن تعلمان الناس السحر . وروي عن الحسن البصري أنه كان يقرأ على الملكين بكسر اللام وكان يقول ان هاروت وماروت علجان من أهل بابل . وقال بعض مشايخنا في درسه في قوله تعالى الملكين قراءتان فتح اللام وكسرها وهما رجلان صاحبا وقار وسمت فشبهما بالملائكة وكان يؤمهما الناس بالحوائج الاهلية ويجلونهما أشد الاجلال فشبهما بالملوك وتلك عادة الناس فيمن ينفرد بالصفات المحمودة يقولون هذا ملك وليس بانسان كما يقولون فيمن كان سيداً عزيزاً يظهر الغنى عن الناس من حيث يحتاجون اليه هذا سلطان زمانه الى أن قال ولعل الله سماهما

ملكين بفتح اللام حكاية لاعتقاد الناس فيهما وأجاز أيضاً كون إطلاق لفظ الملكين عليهما مجازاً كما قال بعض المفسرين انتهى . الا أن الذي لاشك فيه على هذا القول أنهما لم يكونا ملكين : أو يكونا من الملائكة نزلا بشريعة حق بعلم ما على أنبياء فعلماهم الدين وقالا لهم لاتكفروا نهيا عن الكفر بحق وأخبراهم أنهم فتنة يضل الله بهما من حاد عن الايمان ويهدي بهما من سلك سواء السبيل . وكما تكون الفتنة ضلالا تكون هدى قال تعالى حاكيا عن موسى أنه قال له (ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء) وقال عز من قائل (وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة : وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا) . ثم نسخ الله تلك الشريعة كما نسخ شريعة موسى وعيسى فتمادت الجن على تعليم ذلك المنسوخ . وعلى هذا فتكون ما اسم موصول بمعنى الذى كأنه تعالى قال يعلمون الناس السحر والذي أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت . وعلى كل

فلا تدل الآية دلالة قطعية على أن هاروت وماروت من الملائكة ولا على أنهما عصيا أو فعلا مالا يليق وانما ذكر ذلك فى رواية موضوعة غير صحيحة الاسناد وليست عن النبي صلى الله عليه وسلم فبطل التمسك بها وصح ما قلناه . هذا وقد حمل الامام الرازى السحر فى هذه الآية على حقيقته وقال ان هاروت وماروت ملكان غير أن وقوعه منهما كان لمقصد حسن وغرض شريف وملخص قوله أن السحرة لما كثروا فى ذلك الحين واستنبطوا من سحرهم أبوابا غريبة حتى بلغ من أمرهم ادعاء النبوة وجعل تلك الاعمال السحرية معجزات لهم . بعث الله هذين الملكين ليعلما الناس السحر حتى يتمكنوا من معارضة أولئك السحرة ولا شك أن هذا من أحسن المقاصد . فهذان الملكان كانا لا يعلمانه لاحد حتى يبذلا النصيحة فيقولان له انما نحن فتنة أى محنة يتميز بها المطيع من العاصي . فهذا الذي نصفه لك من السحر وان كان القصد منه ظهور الفرق بين السحر والمعجزة ولكنه يمكنك التوصل به الى المفاسد فاياك أن تستعمله فيما حرم الله . ثم ان

القوم تعلموه منها واستعملوه في المعاصي . والعلم به غير قبيح ولا محظور وانما المحظور العمل به انتهى المراد منه :ولا بأس به اذ ليس فيه ما يمس بعصمة الملائكة ولا ما يحط بكرامتهم عند الله تعالى وفي هذا الكفاية فتدبره بانصاف والسلام

﴿ الملائكة والجن وماهيتهما وأعمالهما ﴾

الملائكة أجسام لطيفة نورانية خلقها الله تعالى من مادة لطيفة كمادة الهواء أو الأثير الذي يقول به متأخرو الفلاسفة من أنه مادة لطيفة مالئة الكون لاترى . وأودعها قدرة على التشكل بأي شكل أرادته وقوة بها تفعل ماتريد من الافعال العظيمة التي تقف دونها قوى الانسان وتقطع المسافات البعيدة التي بين الاجسام السماوية وبينها وبين الارض في أقصر مدة وجعل منها حفظة على الانسان وكتبة تكتب أعمال العبد من حسنات وسيئات . وهي تمر أمامنا غير أننا لانراها كما نطقت بجميع ذلك نصوص الشريعة المتواترة والمشهورة والأحادية التي بلغ ما يستفاد منها حد التواتر . ولا يقال كيف يمكنها

الاقتدار على التشكل وهى لطيفة الاجسام . لما أن ذلك بقدرته تعالى وليس مثله على الله بعزيز ومن نظر بفكر الى أعمال (الكيماويات) التى جعل الله الانسان قادراً عليها من تحويلات الاجسام الى بعضها كتحويل اللطيف كثيفا والكثيف لطيفاً لا يرى للغرابة فى ذلك سبيلا . كما لا يقال ان قيامها بالشاق من الاعمال غير ممكن وهى أجسام لطيفة لما أنه بقدرته تعالى أيضاً ومن نظر الى أعمال (الكهرباء) التى تقود ما لا يدخل تحت طوق المئات من الرجال من الاثقال العظيمة . والى ما تعمله الرياح التى تقلع الثابت من الأشجار فى الارض وتدمر متين الأبنية التى تعجز عن تدميرها العشرات من أقوياء البشر . لا يرى شيئاً من الغرابة فى نسبة الاعمال الشاقة للملائكة . وقطعها المسافات الشاسعة فى المدة القصيرة ليس مما يمنعه المتفكر البصير . لما أنه بالقدرة الالهية أيضا ومن له معرفة بفن الهيئة وعلم سير الكوكب المسمى بالمشترى الذى يقطع فى الساعة الواحدة ثلاثين ألف ميل مع كونه كثيف الجسم أكبر من الارض التي نحن عليها بأضعاف

الاضعاف كما يقول بعض أهل الفلك . لا يستغرب قطعها المسافات البعيدة في الزمن القليل : وفائدة كتابة الكتبة منها حسنات الانسان وسيئاته . أن الواحد اذا علم بها استحى وترك المعاصى لا لحاجة دعت عليها لاحاطة علم الله تعالى بجميع الاشياء . وعدم رؤيتنا اياها ليس الا لكونها شفافة ولطيفة كالهواء والاثير على أن الرؤية بمحض خلقه تعالى ومن الممكن أن لايخلق رؤيتنا لها عند ماتمر امام الواحد منا : والجن أمة عاقلة مميزة متعبدة موعودة متوعدة متناسلة تموت كما تموت وقد أجمعت على ذلك المسلمون والنصارى والمجوس والصابئون وأكثر اليهود حاشا السامرة . ويمرون أمامنا ولا نراهم كالملائكة قال تعالى (انه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم) وبهذا تعلم أن الجن قبيل ابليس قال عز من قائل (الا ابليس كان من الجن) . وهم أجسام رقاق صافية هوائية لاألوان لهم وعنصرهم النار كما قال سبحانه (والجان خلقناهم من قبل من نار السموم) والنار والهواء عنصران لاألوان لهما . ولا يقال ان للنار المشتعلة عندنا لونا . لما أن حدوث اللون المشاهد ليس

الا لامتزاجها برطوبات ما تشتعل فيه من مثل الحطب والخشب . ولو كانت لهم ألوان لرأيناهم بحاسة البصر . ولو لم يكونوا أجساما صافية رقاقا هوائية لأدركناهم بحاسة اللمس . هـذا وليكن فى علمك أنهم يوسوسون فى الصدور كما قال تعالى (من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس) وأن الشيـطان يجري من ابن آدم مجرى الدم لذلك يتحقق منـه الصرع عنـد مماسته للمصروع قال عز وجـل (كالذي يتخبطه الشيطان من المس) ولنا في هـذا المحل كلام لايتحمله هذا الكتاب . واعلم أن جميع ماقلناه فى حق الملائكة من القدرة على التشكل والأعمال الشاقة وقطع المسافات فى أقصر مدة نقول مثله في الجن والدليل واحـد لايخفى على العاقل البصير والسلام

﴿ كلمة في السحر ﴾

اضطربت العلماء مفسرين وفقهاء فى حقيقة السحر وهل هو معتاد أو من خوارق العادات . وانى أذكر لك ما يرتاح به

فؤادك ويطمئن له خاطرك مما نطقت به لغتنا العربية وجاء به القرآن فأقول السحر عند العرب عبارة عن كل ما لطف مأخذه ودق صنعه وخفي على غير أهله مسلكه . ومنه (الخداع) يقال سحره بتحريك الحاء مخففة ومشددة بمعنى خدعه . (وتأثير العيون) في طلاب الحسان . (وبليغ الكلام) في أرباب البيان . فان مثل ذلك مما يخفى مسلكه ويدق سببه حتى يكون الوقوف على العلة في التأثير مما يعسر على الكثير من الناس . ولهذا قالوا عين ساحرة وفي الحديث (ان من البيان لسحرا) وقد وصفه الله في القرآن بأنه تخييل يخدع الأعين فيريها ما ليس بموجود موجوداً فقال (يخيل لهم من سحرهم أنها تسعى) وقال (فسحروا أعين الناس واسترهبوهم) وكثيراً ما ذكره الحق سبحانه في كتابه وأكثره في قصة موسى وفرعون : ثم إن من تتبع الآيات يرى أنه أما حيلة وشعوذة وأما صناعة علمية خفية يسمى العمل بها سحراً . وليس عملا يستعان عليه بالشياطين وأرواح الكواكب كما يدعيه بعض السحرة التي تتخذ مثل هذه الاقاويل وصلة للمعاش وطريقاً لاستنزاف أموال الناس بالباطل . وقد اعتاد

الذين اتخذوا التأثيرات النفسية التي يمكن عدها من السحر لدقة سببها وخفاء مسلكها. أن يذكروا كلاما مبهما وأسماء غريبة اشتهر أنها من أسماء الشياطين وملوك الجان وأنهم يحضرون اذا دعوا بها ويكونون مسخرين للداعي يلبون طلبه ويطيعون أمره حتى يكون لكلامهم تأثير في إثارة الأوهام: واعلم أن السحر يتلقى بالتعليم كما يشهد التاريخ بذلك ويشير اليه قوله تعالى (ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر). وبما ذكرنا تعلم أنه معتاد وليس من خوارق العادات . وغرابته ليس الا لجهل أسبابه وخفاء مسالكه على غير أهله

﴿ الايمان بكتب الله تعالى المقدسة ﴾

من الواجب علينا التصديق بما أنزله الله تعالى على رسله من الكتب المقدسة التي جاءت بالأمر والنهي . والوعد والوعيد وغير ذلك . وهي التوراة والانجيل والزبور والقرآن . والاخير أفضلها وقد نسخ الله به تلاوتها وبعض أحكامها . وهو غير مخلوق باعتبار مصدره إذ مصدر الكلام المسموع عن الله

تعالى لابد أن يكون شأنا من شؤونه قديماً بقدمه . وأما الكلام المعبر عن ذلك الوصف القديم المسموع لنا فلا خلاف في حدوثه . لما أنه يتلى بالألسنة ويكيف بالأصوات ولا في أنه خلق من خلقه تعالى . وإنما خصص بالاسناد اليه تعالى لاختياره له سبحانه في الدلالة على ما أراد ابلاغه لخلقه . ولأنه صدر عن محض قدرته البالغة لامدخل لوجود آخر فيه بوجه ما سوى أن الرسول الذى أنزله على لسانه مظهر لصدوره . (وهذا ماأدين الله عليه) وما عداه فصادرة للبداهة وتجرؤ على مقام القدم بنسبة التغيير والتبديل اليه . فان الالفاظ المقرؤة تحدث وتفنى كلما قرأها القارؤون : ويالله العجب ممن يقول بقدم القرآن المقروء فانه أضل سبيلا ممن ضلوا وأضلوا وهم لا يشعرون وهل القول بأن الله أوجده بدون كسب أحد في أصل تركيبه ووجوده . يحط بشرف نسبته اليه ويمس مقامه الارفع كلا ثم كلا . بل ذلك هو السنة التى دعا اليها الدين وجاء بها الرسول وما سواه فبدعة وكل بدعة ضلالة : أما مانطقت به

كتب التاريخ من امتناع بعض الأئمة عن النطق بأنه مخلوق . ومن ذلك الخلاف الذى فرق الأمة حتى كان القاضية فقد كان مصدره المبالغة في التأدب ومجرد التحرج والا فيجل مقام مثل الامام ابن حنبل عن اعتقاد قدم القرآن المتلو وهو يتلوه كل ليلة بلسانه ويكفيه بصوته : ولا يقال ان السيدة عائشة رضى الله عنها قالت ما بين دفتى المصحف كلام الله فتكون الالفاظ المقروءة قديمة : لما أن قولها هذا محمول على القرآن باعتبار مصدره وقد علمت أن مصدره صفة قديمة قائمة بذاته تعالى . ولا يعقل من مثل تلك السيدة القول بأن الالفاظ التي تحدث وتفنى كلما تليت كلام الله. اللهم الا أن تريد بقولها كلام الله أنه تعالى أوجده بنفسه وليس لاحد من البشر كسب فى أصل تركيبه ووجوده : واعلم أن هذا الكتاب هو الدستور الذي عليه مدار الشريعة المحمدية والآية الكبرى التي تحدى بها الرسول الامين عليه السلام على فصحاء العرب حتى أخرس بآياته الألسنة وحير بأساليبه الالباب . من تمسك به فقد اهتدى ومن ضل عن سبيله فقد غوى . وانى لولا

خوف الملل لاسهبت لك فى ذكر ماأنطوى عليه من الفضائل والأسرار ، وشرح ما أودع فيه من الحكم ، ولأطلت فى بيان ما أعده الله تعالى للقائمين بواجباته الخاضعين لسلطانه من النعم الدنيوية والاخروية التى لا تدخل تحت عد ولا حصر ولكن لا مانع من أن نأتى على بعض ماورد فيه فنقول (ان الله أنزل هذا القرآن آمراً وزاجراً وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نبؤكم وخبر من كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم مابينكم لايخلقه طول الرد ولا تنقضي عجائبه ، هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل ، ومن خاصم به فلج ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم ، ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله ، هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لايعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب) وبالجملة فهو (كتاب لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)

﴿ انزال القرآن ﴾

أنزل الله القرآن لتفهم الناس أسراره وتفقه حكمة تشريعه وفائدة التكليف به ونتعقل آياته وتتذكر أولو الالباب قال تعالى (كتاب أنزلناه مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب) اذ هو الحجة البالغة والآية الكبرى فعلى كل عاقل أن يتلوه بالتدبر لانه هو المقصود من القراءة ولذلك سن الله فيه الترتيل لان الترتيل في الظاهر طريق يتمكن بها من التدبر فى الباطن قال علىّ رضي الله عنه . لاخير فى عبادة لافقه فيها ولا فى قراءة لاتدبر فيها . واذا لم يتمكن من التدبر الا بترديد فليردد الا أن يكون خلف أمام فانه لو بقي فى تدبر آية وقد اشتغل إمامه بآية أخرى كان مسيئاً كمن يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة ممن يناجيه عن فهم بقية كلامه : وقد عبر الله تعالى عن التدبر بالتلاوة حق التلاوة فى قوله (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به) : وأن يطالب نفسه بفهمه والعمل به ولا

شك أن كل من له معرفة ولو قليلة باللغة العربية فانه يفهم منه ما يهتدى به . ومن كان أميا أو أعجميا فعليه أن يسأل القارئ أن يقرأه له ويفهمه معناه . ومن الاسف أن أكثر الناس اليوم منعوا عن فهم معانى القرآن لاسباب قامت فى الانفس وحجب أسدلها الشيطان . وحجب الفهم كثيرة منها أن يكون منصرفا الى تحقيق الحروف باخراجها من مخارجها . وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن فهم معانى كلام الله عز وجل : ومنها أن يكون مقلداً لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت فى نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول اليه ببصيرة ومشاهدة . فهذا شخص قيده معتقدة عن أن يجاوزه فلا يمكن أن يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفا على مسموعه فان لمع برق على بعد وبداله معنى من المعانى التى تخالف مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال له كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك فيرى أن ذلك غرور من الشيطان فيتباعد عنه ويحترز من مثله . ولمثل هذا قالت السادة الصوفية ان العلم حجاب . وأرادوا

بالعلم العقائد التى استمر عليها أكثر الناس بمجرد التقليد أو بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب وألقوها اليهم ومنها أن يكون قد قرأ تفسيراً ظاهراً واعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن الا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد ونحوهما وأن ماوراء ذلك تفسير بالرأى. وأن من فسر القرآن برأيه فقد تبوأ مقعده من النار . مع أن المراد بالرأى فى هذا الرأى الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح والرأى يتناول الصحيح والفاسد والموافق للهوى قد يخصص باسم الرأي : هذا وأما مجرد التلاوة وتحريك اللسان بالألفاظ مع عدم تعقل عقائده وحكمه وأحكامه وشرائعه وعدم القيام بحقوقه الواجبة فما لا يعود بالنفع بل ان من يتلوه وهو معرض عن هدايته غير معتبر بوعده ووعيده ولا قائم بواجباته ومقتضياته لاشك في أنه كالمستهزئ بربه ومثله كمثل الحمار يحمل أسفاراً أو مثل من يكرر كتاب أميره في كل يوم مرات وقد كتب اليه فى عمارة ناحيته وهو مشتغل بتخريبها ومكب على دراسة كتابه فلعله لو ترك الدراسة عند المخالفة

لكان أبعد عن الاستهزاء والمقت . ولا يقال وردت أحاديث كثيرة ترغب بالتلاوة وليس فيها ذكر التدبر . فانها محمولة على اعتبار التدبر المعلوم من الآيات والاحاديث الاخرى . وبهذا تعلم ان قول العلماء ان القرآن يتعبد بتلاوته ليس على اطلاقه والا فالقرآن والسنة يصرحان فى مواضع كثيرة بخلاف هذا القول . وقد جاء من الاحاديث مايصف حال قوم يأتون بعد يقرأون القرآن لايجاوز تراقيهم وقد سماهم شرار الخلق فهؤلاء الاشرار قد اتخذوه من الاغانى والمطربات واذا طالبت أحدهم بالفهم والتدبر أخذته العزة بالاثم واحتج عليك بكلمة قالها فلان أو حلم رآه فلان وهكذا انقلب على كثير من المسلمين وضع الدين فلا حول ولا قوة الا بالله

﴿ الايمان بالرسل ﴾

الايمان بالرسل هو التصديق بهم وبجميع ماجاؤا به عن الله تعالى من الاحكام اذ لا ينطقون عن الهوى وبآياتهم الحقة ومعجزاتهم الصادقة وما أنزل عليهم من الصحف والكتب

والايقان بعصمتهم من الصغائر عمداً والكبائر مطلقا لما أن العصمة من ذلك شرط في الرسالة . ومايشعر بصدور المعصية محمول على ترك الأولى أو كونه قبل البعثة : وليكن فى علمك أن ارسال الله تعالى رسله الى عباده من أجل النعم عليهم اذ بعثة الرسول هي الحكمة التى عليها مدار التوحيد الخالص من شوائب الشك والشرك وقيام أعمدة اليقين بما أعده الله لمن أطاع من الثواب ومن عصى من العقاب وتمهيد سبل الحضارة الدينية وتوطيد دعائم الحياة فى هذه الدنيا وغير ذلك مما يتعلق بالاخرى مما لا يمكن لكثير من الناس ادراك جميع جزئياته وكلياته بدون رسول يرشد الى سواء السبيل . وكثير من الناس نقص عن معرفة المنافع والمضار الاخروية جزئياتها وكلياتها وبعضهم وان كان له سبيل الى معرفة الكليات اجمالا فليس له سبيل الى معرفة الجزئيات تفصيلا . لذلك من الله تعالى على عباده بأجل النعم فأرسل فيهم رسلا يتلون عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة : وما تمكست أمة من الامم برسولها الا وصلح معادها ومعاشها وكانت كما تحب وتشاء

لما أودع الله تعالى رسله من (الأمانة) التى بها حفظ ظواهرهم وبواطنهم من التلبس بباطل أو ضلال (والصدق) الذي به نمو الفضيلة وتعزيز مكارم الاخلاق (والفطانة) التى هى الركن الاعظم فى إقامة الحجج على الخصم وحسن المجادلة معه لاقناعه بالحق : وكل من الأمانة والصدق والفطانة صفة واجبة لهم عليهم الصلاة والسلام كما أنه يجب لهم تبليغهم الخلق ما أمرهم به الله . ويجب علينا أن نعتقد بوجوب هذه الصفات الاربع لهم واستحالة أضدادها عليهم وجواز ما يجوز أن ينسب اليهم مما سنذكره قريباً وأن نعتقد بجميع ذلك فى حق الانبياء الذين لم يؤمروا بالتبليغ . لانه ربما يستفتيهم الناس عن أحكام شرائع من قبلهم من الرسل ولانهم مأمورون بتبليغ الخلق أنهم أنبياء يعرف الغير مقامهم فيقدرهم حق قدرهم . والنبي انسان فطره الله على الحق علما وعملا بحيث لا يعلم ولا يعمل الا حقاً على مقتضى الحكمة الالهية فان فطره على الدعوة الى ماجبل عليه فهو رسول أيضاً والا فنبي فقط .

﴿ جولة في الادلة على وجب الامانة والصدق ﴾

(والفطانة والتبليغ وبيان مايجوز على الرسل عليهم السلام)

من المعلوم أن الله تعالى أرسل رسله بالحق مبشرين ومنذرين . ومرشدين وهادين . واذا كانوا كذلك فلا بد أن يتصفو وجوبا (بالامانة) كما قلنا اذ الاتصاف بضدها (الخيانة) يوجب ما لا يليق لانهم لو خانوا بفعل معصية لكنا مأمورين بذلك لما أنه تعالى أمرنا باتباعهم في الاقوال والافعال والاحوال بلا تفصيل والله لا يأمر بالعصيان . اذاً فاستحالت الخيانة ووجبت الامانة (والصدق) اذ الاتصاف بضده (الكذب) مما لا يسلمه العاقل لانهم لو كذبوا فيما يبلغونه عن الله للزم الكذب في خبره تعالى لتصديقه لهم بالمعجزات التى يجريها على أيديهم تأييداً لهم وتعضيداً لانها نازلة منزلة قوله صدق عبدى فيما يبلغ عنى وتصديق الكاذب كذب وهو على الله محال . واذا استحال الكذب فيما يبلغونه عنه تعالى وجب الصدق فيه : أما وجوب صدقهم واستحالة كذبهم في غير

مايبلغونه فانهم لو كذبوا لكان الكذب خيانة وقد علمت استحالتها عليهم (والفطانة) اذ الاتصاف بضدها (الغفلة) يوجب العجز لأنهم لو كانوا مغفلين لما كان في استطاعتهم اقامة البرهان على الخصم والمجادلة معه بالتي هي أحسن وهذا يخالف منصب الرسالة التي عليها قوام الهداية وكيان الارشاد . فوجب لهم بذلك التفطن والتيقظ واستحالت الغفلة (وتبليغ الخلق ما أمروا بتبليغه) اذ الاتصاف بضده (الكتمان) يستلزم الفساد بين أفراد الأمة لأنهم لو كتموا شيئاً مما أمروا بتبليغه لكنا مأمورين بكتمان العلوم والمعارف لما علمت من أننا مأمورون بالاقتداء بهم . وكوننا مأمورين بكتمان العلم باطل فيكون كتمانهم شيئاً مما أمروا بتبليغه باطلا . اذاً فوجب لهم التبليغ واستحال عليهم الكتمان . هذا . واذ قد علمت أن الرسول إنسان كما تقدم علمت أن الأعراض التي تلحق النوع الانساني جائزة على كافة الرسل ولكن بشرط أن لا تكون مؤدية الى نقص في مراتبهم ولا مخلة بالرسالة ولا منفرة الناس عن الاجتماع بهم والاخذ عنهم . مثل الاكل والشرب والجماع

في الحلال والمرض الذى لا ينفر الخلق ولا يخل بالنبوة . وعلى هذا فلا يجوز عليهم مثل الجنون والعمى والجذام والبرص . وما قيل ان شعيباً كان أعمى فغير ثابت وما كان بأيوب فقد كان ألما تحت الجلد ليس منفراً . كما لا يجوز عليهم النسيان في الاقوال والافعال قبل التبليغ وأما بعد التبليغ فيجوز من جانب الله تعالى لحكمة لا نعلمها لا من جانب الشيطان لما انه ليس له عليهم سبيل . أما وسوسة الشيطان لآدم فقد كان بتمثيل ظاهري اذ يمتنع لعبه بواطن متعلقة بالله محفوظة من الشكوك . وما يوهم خلاف ذلك فمؤول : ولا السهو في الاقوال لانه يورث الشبهة في عموم الاخبار وأما في الافعال فيجوز وحكمة وقوعه منهم في مثل الصلاة أن يرى الناس كيف يعملون عند حدوث السهو في العبادة لان دلالة الفعل أوضح من دلالة القول

﴿ أفضل الانبياء والمرسلين والخلق أجمع ﴾

ان أفضل الخلق قاطبة وأرفعهم عند الله تعالى نبينا محمد

صلى الله عليه وسلم وقد انعقد الاجماع على ذلك إذ لا يضارعه
عليه السلام فى قدره غيره ولا يجاريه فى رفعته سواه
جاء بكتاب من عند الله يخبر عن مقامه الارفع إخبارا
حقيقيا لا يشوبه ريب ولا يخالطه مراء . كتاب لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه ينطق بلسان البيان
والتبيان لسان الفصاحة والبلاغة أنه أفضل المخلوقات عموما
إنسا وجنا وملكا كما ينطق بلسان الحق والصدق أنه الرسول
الذى ما مال عن جادة الطريق حتى فى صغره ولا حاد مدة
حياته عن محور الآداب . لذلك كان القطب الذي تدور عليه
رحى السعادة والقدوة المتبعة في العلوم والاخلاق . ولا بدع في
ذلك فقد كان دأبه ليس الا السعى وراء التقدم الاسلامى
ولو وقفت فى طريقه الاعداء . وكم مهدت له أعداؤه عقبات
التأخر وجعلت فيما بينه وبين مبتغاه الحجب الحالكة والسحب
المظلمة التى أخذت بهم الى عمى القلوب وهم لا يفقهون . وهو
يقطع تلك العقبات بحزم ثابت لا تبدده الحوادث وعزم رفيع
لا تغيره الكوارث ولا تضعضعه الايام ويزيل هاتيك

الحجب بفكره الثاقب ورأيه الصائب وعضبه الصارم . ويمحو دياجير السحب بنور شريعته الغراء التي ظلمت شموسها في سماء القلوب حتى أشرقت بسناها أرجاء الأحشاء وأضاءت بشعاعها الصدور والوجوه . تنبئك عن ذلك كله تلك الغزوات المسطرة وقائمها على صفحات التاريخ . فلكم قاوم فيها عدوه الألد بثابت جأش لا يدعوه الى ملل ولا يطلب منه شططا وقوة قلب خالط عروقه دم الجد والنشاط وسعة صدر ملؤه العلوم والمعارف . ومن جهاته الست معدات البسالة ومقدمات الاقدام . ومن أسفله وأعلاه روح الحمية وسر الاسلام ولهذا خابت مساعي أعدائه حتى كأنها الهباء المنثور وكان عليه الصلاة والسلام صاحب السيطرة والسلطان واذا شئت الايقان بهذا أجمع فتصفح بامعان صفحات القرآن المجيد ينبئك عن جليل أعماله ومآثره الشماء التي أصبح بها أفضل المخلوقات عموما والأنبياء خصوصاً . والادلة على أفضليته على الانبياء من ذلك الكتاب الشريف وصحيح الحديث وغيرهما أكثر من أن تحصر أما أدلة الكتاب فمنها قوله تعالى

(وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) وسائر الانبياء منهم واذا كان أرسل اليهم رحمة فهو بالطبع أفضل منهم اذ لا يرسل كذلك الا من كان أعلى وأرفع . ومنها قوله في أمته (كنتم خير أمة أخرجت للناس) واذا كانت أمته خير الامم وهى تابعة له فمن اللازم أن يكون المتبوع أرقى من غيره وأفضل ممن سواه ومنها قوله (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) اذ فيه قرن بيعته تعالى ببيعته ومنها قوله (يا أيها النبي) وقوله (يا أيها الرسول) حيث ناداه بما ينبئ عن التعظيم ويدل على التبجيل وقد نادى غيره من النبيين باسمه فقد نادى آدم عليه الصلاة والسلام بقوله (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) وعيسى صلى الله عليه وسلم بقوله (ياعيسى اني متوفيك) وموسى عليه السلام (يا موسى أنا الله) وشتان ما بين النداءين . وأما أدلة الاحاديث فمنها ما جاء فى صحيحي البخارى ومسلم عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل أحمر وأسود وأحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى وجعلت لى الارض طيبة وطهورا

ومسجداً فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان ونصرت بالرعب على العدو مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة) ومنه يعلم عموم بعثته الثقلين كافة كما يعلم ذلك من صريح القرآن أيضاً ومن المعلوم بداهة أن ذخائر كل ملك وأمير لابد أن تكون على مقدار رعيته فأمير المدينة يحتاج الى أكثر مما يحتاج اليه أمير القرية . اذاً فلا جرم أحرز صلى الله عليه وسلم من العلوم والمعارف وجوامع الكلم وبدائع الحكم مالم يحرزه غيره من الانبياء والمرسلين ومن كان كذلك فهو أجل وأرقى ومنها قوله (أنا أكرم الاولين والآخرين وأنا سيد العرب) ولا تنافى بين هذا وبين قوله (لاتفضلوني على يونس بن متى) وقوله (لاتخيروا بين الانبياء) لما ان كلا ورد في مقام فحيث رآهم يحطون ببعض النبيين منعهم عن ذلك بقوله لا تفضلوني ولا تخيروا الحديثين وحيث رآهم يزدرون مقامه الارفع ويتعجبون من الانبياء منعهم عن ذلك فقال أنا أكرم الاولين الحديث على أن التميز بين اثنين لا يليق بأى انسان اذ لا يمكن ذلك الا بعد الاحاطة بفضائلهما ولا تتوفر الاحاطة لدى كل

أحد من الناس . ولا مانع من أن يكون قوله لا تفضلوني ولا تخيروا تواضعاً منه وانكساراً اذ هو مثال التواضع والانكسار وقد استدل بعض الملحدين على عدم أفضليته بمثل هذين الحديثين جهلا أو مكابرة مع ظهور ماذكرناه جليا وقبوله فى نظر المنصف . على أنه لا يلزم من النهى عن شيء عدم مطابقة ذلك الشيء للواقع فقد يكون الشيء حقاً فى الواقع ونفس الامر وينهى عن الاشتغال به لعدم أهميته بالنسبة لما هو أهم وعليه فالمراد بالحديثين لا تشتغلوا بتفضيلى على غيري وتفضيل بعض باقي الانبياء على بعض فانه لا يهمكم ذلك بل المهم معرفة النبيين والايمان بهم حتى يكون الواحد منكم مهتديا . وبهم مقتديا . وأما أدلة غير الكتاب والأحاديث فمنها أن معجزاته أكثر من معجزات غيره وقد أوصلها البعض الى مانيوف عن ألف وأجلها عندى القرآن بل هو يشتمل على أكثر من ذلك لان التحدى وقع بأقصر سورة منه وهى الكوثر وكل ثلاث آيات منه تصلح للتحدى فيكون ذلك الكتاب معجزاً برأسه . وزد على هذا أنه باق مابقى الدهر بخلاف معجزات سائر الانبياء

فانها انقرضت لم يبق منها شئ . واذ قد علمت أنه عليه السلام مستجمع لجميع الفضائل آخذ بأذمتها . وأن منصبه عند الله تعالى أعلى وأرفع من غيره ومعجزاته أبقى من معجزات من عداه . وقومه أكثر . ودولته أوفر . فلا يسعك سوى الايقان بأنه أفضل المخلوقات على الاطلاق وأخص من بينهم الرسل عليهم السلام وقد فضل الله بعضهم على بعض فقال عز من قائل (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات) فتدبره وكن من الشاكرين

﴿ تتمة الباب . المعجزة . وما ماثلها ﴾

المعجزة هي الامر الخارق للعادة المقرون بدعوى الرسالة والتبليغ . وهي لاتؤخذ بالتعليم . وقد خلقها الله تعالى على أيدى الرسل خاصة وجعلها نازلة منزلة قوله صدق عبدي في كل مايبلغ عني : ومثلها الكرامة التى يخلقها الله تعالى على أيدى أولياءه اذ هى أمر خارق للعادة لايتلقى بالتعليم الا أنه غير مقرون بدعوى رسالة أو تبليغ . وقد اختلفت علماء التوحيد فى

وقوعها فقال قوم بعدم جوازه واحتجوا لذلك بانها توقع الشبهة في المعجزة . ولا يخفاك بطلان هذا الاحتجاج فان المعجزة لا تظهر الا مقرونة بدعوى الرسالة ولا بدأن تكتنفها حوادث تميزها عن غيرها بخلاف الكرامة . وقال قوم بجوازه واستدلوا له بما جاء في القرآن من قصة الذي عنده علم الكتاب الواردة في خبر بلقيس من احضاره عرشها قبل ارتداد الطرف وقصة مريم عليها السلام وحضور الرزق لديها وقصة أصحاب الكهف . ولنا في هذا المقام مقال نذكره في غير هذا الكتاب : وكما اختلف العلماء في الجواز فقد اتفقوا قاطبة على عدم وجوب الاعتقاد بوقوع كرامة معينة على يد ولي معين بعد ظهور الاسلام وعليه فلا يكون منكر صدور أي كرامة من أي ولي كان مبتدعا ما لم يأت سواء السبيل ولا مخالفا لشيء من أصول الدين

﴿ الايمان باليوم الآخر ﴾

اليوم الآخر هو يوم القيامة وأوله من وقت الحشر وينتهي بدخول الطائعين الجنة والعاصين النار ويجب التصديق

به وبما يشتمل عليه وما يسبقه من العلامات الصادقة التي أخبر بها الكتاب والرسول كظهور المهدي ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها . وما يتقدمه من مثل قبض الأرواح . فان الانسان متى انقضى أجله قبضت روحه وأخرجت من مقرها وقابضها وقتئذ ملك من الملائكة يسمى عزرائيل والنفخ فى الصور النفخة الاولى التي يميت الله بها أهل الارض والسموات . كما يجب التصديق بالنفخة الثانية التي يبعث الله بها الموتى من قبورهم ويحشرهم فى الموقف الذي يوقف فيه لفصل القضاء واجراء الحساب . والنافخ في المرتين ملك يسمى اسرافيل . وأحوال القبر من فتنته وعذابه ونعيمه فان الناس يفتنون في قبورهم فيسأل الواحد في قبره من ربك ومن نبيك (فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) والسائل منكر ونكير من الملائكة . وحكمة السؤال ظهور العاصى والمطيع لدى الملائكة وبعد هذا إما عذاب ويكون بآلام حسية وأما نعيم الى يوم القيامة : ولا يقال ان الميت جماد لاحياة له ولا ادراك فتعذيبه وتنعيمه محال . لما أنه يجوز أن يخلق الله

تعالى في جميع أجزائه أو في بعضها نوعا من الحياة قدر مايدرك ألم العذاب أو لذة التنعيم . وهذا لا يستلزم اعادة الروح الى بدنه ولا أن يتحرك ويضطرب . أو يرى أثر العذاب عليه . اذ ليست هذه من لوازم الألم واللذة : حتى أن الغريق في الماء والمأكول في بطون الحيوانات والمصلوب في الهواء يمكن أن يعذب وأن ينعم وان لم نطلع على تعذيبه وتنعيمه . ومن أطلق لنظره العنان في عجائب ملك الله وملكوته وغرائب آثار قدرته لا يرى ذلك على الله بعيداً فضلا عن أن يراه مستحيلا : ثم تعود الارواح في الاجساد . فتقوم القيامة التي أخبر الله بها في كتابه . وتنصب الموازين فيوزن فيها مايشاء الله أن يزنه (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون) . واختلف في كيفية الوزن والجمهور على أن صحائف الاعمال هي التي توزن بميزان له لسان وكفتان (على صورة ميزان الدنيا) تنظر اليه الخلائق اظهارا للعدالة وقطعاً للمعذرة كما يسألهم عن أعمالهم فتعترف بها السنتهم وجوارحهم وتشهد عليهم الملائكة والانبياء

وكما يثبت فى صحائفهم فيقرأونها في موقف الحساب ويؤيد هذا القول حديث البطاقة المشهور . وقيل ان الأعمال الظاهرة فى هذه النشأة بصورة عرضية تبرز فى النشأة الآخرة بصورة جوهرية مناسبة لها فى الحسن والقبح حتى أن لذنوب والمعاصى تجسم هناك وتتصور بصورة مخصوصة تنزعج منها النفوس . ويؤيد هذا ماروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه يؤتى بالأعمال الصالحة على صورة حسنة وبالأعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع فى الميزان . وقيل الميزان عبارة عن القضاء السوى والحكم العادل وبه قال مجاهد والاعمش والضحاك واختاره كثير من المتأخرين بناء على أن استعمال لفظ الوزن فى هذا المعنى شائع في العرف واللغة بطريق الكناية . قالوا ان الوزن يراد به التوصل الى معرفة مقادير الاشياء ومقادير أعمال العباد لا يمكن اظهارها بذلك لانها أعراض قد فنيت وعلى تقدير بقائها لاتقبل الوزن وهو وجيه . وتنشر الكتب التى فيها الاعمال فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره قال تعالى (وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة

كتابا يلقاه منشوراً . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً) وتحاسب العباد مؤمنين وكفاراً الا أن حساب الكفار ليس كحساب المؤمنين الذين يوزن مالهم من الحسنات والسيئات اذ لا حسنات لهم وإنما تعد أعمالهم وتحصر ليعامل كل بما جنت يداه : ويمر بهم على الصراط وهو الجسر المنصوب على متن جهنم ويختلف المارون عليه فمنهم المسرع ومنهم المبطئ . وأنكر المعتزلة كونه جسراً حسياً وذهبوا الى أنه عبارة عن طريق الحق والدين القويم والعدل فى الاخلاق . ويؤيد قولنا صريح الكتاب والسنة والاولى بنا عدم التعمق فى البحث عن حقيقة الصراط والميزان ونحوهما مما لا تصل اليه عقولنا القاصرة ويكفي التسليم بها والانقياد لما نطقت به نصوص شريعتنا الغراء

﴿ إثبات المَعاد وكيفية المُعاد ﴾

اتفقت كلمة المحققين من الملليين وكثير من الفلاسفة على أن المعاد (بفتح الميم) حق لانه من الممكنات فان المعاد (بضم

الميم) وهو الانسان إما أن يكون عبارة عن النفس أو عن الجسد كما تقدم فى (التمهيد) فان كان الأول فحيث كان تعلقها بالجسد فى المرة الاولى جائزاً كان كذلك فى المرة الثانية سواء قلنا انها جوهر مجرد عن المادة كما جرينا عليه أولا . أو جسم لطيف مصون عن التحلل والتبدل . وان كان الثانى فحيث كان تألف الجسم بتلك الاجزاء على الوجه المخصوص ممكنا فى المرة الاولى فيكون فى الثانية كذلك : والله سبحانه العالم بجميع الجزئيات والاجزاء لا يعجز عن تمييز بعضها عن بعض وان اختلطت أجزاء الانسان بأجزاء التراب والبحار ونحوها وهو تعالى القادر المختار وقدرته عامة لسائر الممكنات . فثبت أن الحشر والنشر ممكن فى نفسه واذ ثبت الامكان ودل الدليل على صدق الانبياء القاطعين بوقوعه كان من الواجب علينا القطع بذلك : ولنذكر لك من الأدلة الدالة على إثبات المعاد ما تقربه الاعين وتنقاد له العقول . فنقول ثبت لك مما تقدم أن الله تعالى هو العالم الحكيم القادر على ما يشاء المختار فيما يفعل ولا يجوز ممن شأنه وضع الاشياء فى محالها حسب علمه وحكمته أن يهمل

عبيده ويتركهم سدى أى فيستوى فيهم الخبيث والطيب والعاصي والمطيع ويجوز لهم أن يكفروا به ويكذبوا عليه ويأكلوا نعمته ويجحدوا ربوبيته ويجعلوا له أنداداً . اذ بداهة العقل تحكم بأن ذلك لا يليق الا بالسفيه الجاهل البعيد عن الحكمة القريب من العبث . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وحينئذ فنحكم بان لله تعالى أمراً ونهياً وتكليفا وحداً محدوداً ولا يجوز أن يكون أمره ونهيه بدون وعد ووعيد لانه لا فائدة حينئذ للتكاليف فتكون من العبثيات التى لا تجوز . فثبت أنه لا بد من وعد ووعيد ولا يجوز أن لا يفى بوعده ولا بوعيده والا فلا فائدة فيهما حينئذ لعدم الوثوق بهما . فثبت الثواب والعقاب ولا يكونان الا فى الاخرى لما أنا نظرنا فوجدناهما غير حاصلين في الدنيا . اذاً فلا بد من بعث وحشر بعد الموت ليتوصل المحسن الى ثواب احسانه والمسيء الى عقابه اذ مالا يتم الواجب الا به فهو واجب . فهذه مقدمات يتعلق بعضها ببعض متى صح البعض صح الكل ومتى فسد البعض فسد الكل : وقد أنكر المعاد كثير من الطبيعين والكفار وذلك

ليس الا لاهمالهم التفكر بحقائق الاشياء وتركهم التدبر في ملكوت السموات والارض واشتغالهم بأوهام لا طائل تحتها وتراهات لا ترجع عليهم الا بالدمار . ولو أطلقوا للفكر العنان ونظروا نظر متدبر في أجزاء العالم لعلموا أن أفضلها ذوات الأرواح وأفضل ذوات الارواح ذوو الارادة والاختيار في هذا الوجود وأفضل ذوى الارادة والاختيار من ينظر في العواقب وهو ليس الا الانسان اذ النظر فيها من خاصياته لا غير والله سبحانه لم يجعل له هذه الخاصية الا لأمر جعله له في اليوم الآخر ذلك اليوم الموعود والا كان وجود هذه القوة فيه باطلا فلو لم يكن للانسان عاقبة ينتهي اليها غير هذه الحياة المملوءة هما ونصباً وحزنا وتعبا ولا يكون بعدها حال مغبوطة . لكان أخس حيوان أحسن حالا من الانسان فيقتضي أن تكون حكم الله تعالى وبدائعه التي أظهرها في الانسان عبثا . اذ نقض تلك البدايع الربانية وهدم هاتيك الحكم المودعة فيه من غير معنى سوى ماتشاركه فيه البهائم من الاكل والشرب والفساد . سفه (كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا) تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

هذا وليكن من المعلوم لك أن الواجب علينا معشر المكلفين الاعتقاد بحصول كل من البعث والاعادة وأن ذلك يحصل على وجه لا يستلزم محالا عقليا والله أعلم بهذه الكيفية ولا يلزم لصحة الايمان بيان تلك الكيفية بل يكفي تفويض العلم بها الى الله ولكن لا مانع من أن نأتى على (كلمة موجزة) فى توضيحها مما ذكره بعض المحققين حفظاً على أفكار القاصرين من الاضطراب وإقناعا لمن قفل الله على بصائرهم فضلوا عن سواء السبيل . فنقول ان المعاد من الجسم جميع أجزائه الاصلية . أي الباقية من أول العمر الى آخره . لا الاجزاء الفضلية . أى التى تتكون فى الجسم من الاغذية ثم تتحال ويخلفها غيرها وهكذا ولا مانع من أن الله تعالى يحفظ تلك الاجزاء الاصلية للانسان بعد موته من التفرق ومن زوال صورتها ومن دخولها فى أجزاء أصلية لحيوان آخر يأكل انسانا وان دخلت فى تركيب أجزاء فضلية لذلك الحيوان فتنفصل عنها عند انحلالها بموت ذلك الحيوان . ثم عند الاعادة والبعث يعيد الله تعالى تعلق الروح بها ويضم اليها أجزاء فضلية سواء كانت هذه عين ما

كانت قبل الموت أو غيرها ويكون الاحساس بالتنعيم أو بالتعذيب للروح ولهذه الاجزاء الاصلية ويصدق على هذه الكيفية أنها اعادة اذ قد أعيد تعلق الروح بالاجزاء الاصلية بعد أن فارقتها وأعيد لهذه الاجزاء الاصلية الحياة وأعيدت اليها أجزاء فضلية لاتوقف صحة الاعادة على اعادتها بأعيانها وعلى هذا فلا يقال. ان الانسان المنعم أو المعذب غير الذي كان قبل الموت . ولا أن الروحين تتعلقان بجسد واحد فيما اذا أكل انسان آخر وصار بالاغتذاء واحدا . ولا أن مادة واحدة حاصلة لاناس كثيرين حيث ان المشاهد على ظاهر الارض أجزاء جثث الموتى القديمة وقد زرع في الارض زروع كثيرة واغتذا منها الناس وانعقد ذلك في الابدان لحما ودماء ولا نحو ذلك مما أورده منكرو البعث والاعادة على القائلين بهما . بل الاجزاء الاصلية التي كانت مع الروح المتعلقة بها قبل الموت انسانا هي بعينها مع الروح المتعلقة بها عند البعث والاعادة ذلك الانسان بعينه . والله سبحانه مع سعة علمه وعظمة قدرته المبرهن عليهما بمشاهدتنا غرائب المصنوعات وبدائع الافعال

ودقائق الاعمال لا يبعد عليه أمر البعث على كيفية لا تستلزم محالا . ولا تقتضى إشكالا . سواء كان بلا نواميس أوبها وعدم أحساسنا بها لا يستلزم عدمها اذ يحتمل أننا نشاهد تفرق الاجزاء الفضلية ولا نشاهد تفرق الاصلية إما لدقتها أو للطافتها كمادة الهواء أو الاثير الذي يقولون به من أنه مادة لطيفة مالئة الكون لا ترى كما تقدم وإما لغير ذلك . وكم عوالم لم تزل فى حيز الخفاء لانحس بها ولا مانع من أن تكون هذه من هذا القبيل والله تعالى أعلم فتدبر هذا المقام فانه جليل

﴿ الايمان بالقدر ﴾

الايمان بالقدر على درجتين الاولى الايمان بان الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصى والارزاق والآجال ثم كتب فى اللوح المحفوظ مقادير الخلائق فما أصاب الانسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه كما قال سبحانه (ألم تعلم أن الله يعلم مافى السماء والارض ان ذلك في كتاب . ان ذلك على الله

يسير) وقال (ما أصاب من مصيبة في الارض ولا فى أنفسهم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها) . وهذا القدر قد ينكره غلاة القدرية مجوس هذه الامة فانهم يقولون ان العبد خالق لافعاله خيرها وشرها وليس لله تعالى دخل فيها وانما خيره فى أى فعل من الافعال . ويالله العجب كيف يقولون ان الخيرة للعبد مع أنهم يعيشون فى هذه الحياة جبراً لانهم ولدوا بدون اختيارهم ونموا بغير صنعهم ولا يزالون لايستشارون فى حفظ حياتهم أو اعدامها . واذا كانت عيشتهم جبرية وكل يحس في نفسه أنه مصرف بقوة أعلى من قوته وهو في يومه لا يعلم ما يكون فى غده . بل هو فى عمله المشتغل به لا يأمن أن يعرض عليه ما يمنعه من اتمامه . بل هو قد يريد إرضاء خليله فيغضبه . وقد يطلب كسب شئ فيفوته . وربما سعى الى منجاة فسقط فى مهلكة . بل هو فى تناول شربة من ماء أو لقمة من غذاء على خطر أن يغص بها فيموت . وزد على هذا أنه لا يزال يرمى بصدمات الفواعل التى قد يسمونها بالقوى الطبيعية ولا تزال تتقلب عليه أدوار الحياة ويمنى بعوارض الأيام حتى

تنتهي به قساورها الى الموت كمن يرمى بالحجارة أو يضرب حتى يموت. فكيف مع شهود هذه الحال من أنفسهم ينكرون القدر الالهي ويقولون الخيرة للعبد في أحواله وأعماله . وإنا لولا خوف الاطالة لفندنا أدلتهم تفنيداً ولكن فيما ذكرناه الكفاية لمن يعي نواميس الدين . وأما الدرجة الثانية فهو مشيئة الله تعالى النافذة وقدرته الشاملة . وعليه فالايمان به هو الايمان بأن ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأنه سبحانه على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات فما من مخلوق فى الارض والسماء الا الله خالقه لا خالق غيره ولا رب سواه وما من حركة ولا سكون ولا خير ولا شر الا بمشيئته تعالى . لا يكون فى ملكه الا ما يشاء . وهذا القدر يكذب به عامة القدرية ويغلو فيه قوم من أهل الاثبات حتى يسلبوا من العبد قدرته واختياره ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها . وأمثال هؤلاء يكذبهم صريح الكتاب لذلك لا ينبغى الرد عليهم بشيء

﴿ قدرة العبد وما لها من التأثير الالهى ﴾

ليكن في علمك أنه يجب على كل من آمن بالله تعالى ورسله أن يعتقد أن جميع أعماله العقلية والجسمانية . بل حوادث الكون بأسرها مستندة الى الحق سبحانه مكون الكائنات يصرفها على مقتضى علمه وارادته . لما أن قدرته أسمى وأعظم من قوي الممكنات أجمع . ولكن مع هذا ينبغى أن يلاحظ أنه فى أعماله الاختيارية ذو قدرة خلقها الله تعالى: اذ يشهد سليم العقل والحواس من نفسه أنه مدرك لعمله الاختيارى يزنه بعقله ويقدره بارادته ثم يصدره بقدرة أودعها الله فيه . وهى مؤثرة باذنه تعالى فما شاء سبحانه كان ومالم يشأ لم يكن : لا أنه لا قدرة له أصلا كما تقول الجبرية ولا أن له قدرة غير مؤثرة كما هو المشهور من مذهب الاشاعرة ولا أن له قدرة مؤثرة بنفسها يفعل مالا يشاء الله تعالى كما تقول القدرية ومن شا كلهم : ومن نظر معي نظر متفكر في قوله تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)

وقوله سبحانه (ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وقوله عز من قائل (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) فلا يسعه سوى الاعتراف بتأثير قدرة العبد. اذ يعرف من هذه الآيات ان الله تعالى لولم يجعل للعبد قدرة مؤثرة لما نسب التغيير والكسب اليه : وهذا ما أدين الله عليه. اذ عليه قامت الشرائع وبه استقامت التكاليف ومن أنكره فقد أنكر عقله الذى أيده الله بروح من عنده وشرفه بالخطاب في أوامره ونواهيه : ولا يقال يلزم من الاعتقاد بكون قدرة العبد مؤثرة فى فعله الاختيارى الاشراك بالله تعالى كما ادعاه بعض الجهلة في الدين. لما نقول ان تأثيرها فيما تؤثر فيه ليس الا بخلق الله اياها مؤثرة ولهذا قلنا فيما سبق (باذنه تعالى) لا لذاتها من دون أن يخلقها كذلك إذلا يقول به أحد يميز بين الغث والسمين . وعليه فلا يلزم الاشراك الذي ادعاه من لا يعرف معناه الذى هو اعتقاد أن لغير الله سبحانه أثراً فوق ما وهبه الله تعالى من الاسباب الظاهرة وأن لشئ من الاشياء سلطانا على ماخرج عن قدرة المخلوقين

. وجملة القول أن للعبد قدرة بها يحصل مايشاء تحصيله من الافعال الاختيارية غير أن المرجع فى ذلك قدرة الله تعالى التى من آثارها ما يحول بين العبد وبين انفاذ مايريده . اذ هى المرجع لجميع الكائنات الظاهرية والباطنية . وهذا مانطقت به شريعتنا الغراء وأيده العقل السليم . لذلك كان كل من أنكر شيئا منه منكراً مكان الايمان من نفسه وهو عقله. بل يعد انكاره ذلك مساويا لانكار وجوده فى مجافاته لبداهة العقل : هذا وقد بحث الباحثون قديماً وحديثاً في التوفيق بين ما قامت عليه الادلة من احاطة علمه تعالى ولرادته بجميع الاشياء جزئياتها وكلياتها وبين ما تشهد به بداهة العقل من عمل العبد المختار فيما وقع عليه الاختيار . وهو مما نهانا عنه الشرع الشريف فلا يجوز الخوض فى مثله إذ لا تصل اليه العقول ولهذا لم يزالوا وقوفا حيث ابتدءوا . نعم وصلوا الى تفريق الكلمة وتشتيت الشمل . أعاذنا الله من قوم لايفقهون

﴿ الدين الاسلامى وتفسير آية لا كراه في الدين ﴾

قررت فلاسفة العلم قديما وحديثاً ممن قذف الله فى قلوبهم نور الهداية . أن دين الاسلام هو دين الحضارة والمدنية دين العلوم والمعارف لا يدعو أحداً مما الا الى ما يهذب الاخلاق بحكمته البالغة ويمتع الارواح بشذى الآداب . اذ هو الآية التى أسسها الله تعالى على دعائم العلم والمعرفة حتى أصبحت ذات أصول موطدة وقواعد ممهدة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . أصول لا تخرج عن دائرة العقل ولا تنبو عن محور الذوق الأدبى . وقواعد أيدها البرهان بما يسترق الافئدة أو يكاد : اذا أنت نظرت الى مغذاها ورميت الى ترمى اليه كيفما تسير وأنى تتجه . فلا يسعك سوى الايقان بأنها الدستور الوحيد الذى عليه مدار النجاة فى هذه الدار وما يتبعها من الاخرى . والحكمة التي بها قوام التقدم والارتقاء : كيف لا وقد قام الكثير من الفلاسفة الأقدمين بمقتضيات هذا الدين وواجباته فكانوا باتباعه في الصف الاول من رجال

الأفكار : لذلك اقتفت آثارهم اليوم حكماء الغرب تلك الفلاسفة المخترعة تارة والمكتشفة أخرى فكان الواحد منهم بذلك بين ظهراني بلاده كأنه الجوهر الفرد والآية الكبرى مع أنه ما مهد ما مهده الا على حسب تمهيد المتقدمين المعترفين بفضيلة هذا الدين الأقوم الذي لا ينسخ شرعه الى آخر الزمان ولا يرفع بشرع سواه . وسيدنا عيسى عليه السلام عند نزوله الى الارض فى آخر الزمان انما يحكم بشرع ذلك الدين لا بشرع جديد . وعدم قبوله الجزية هو من جملة ذلك الدين لأن غاية قبولها الى نزول عيسى . وقد انعقد الاجماع على أنه ناسخ لا كثر أحكام الشرائع المتقدمة غير العقائد منها كالايمان بالله وحده وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر اذ هى ثابتة في سائر الشرائع . وحكمة نسخ شريعة بأخرى هى اختلاف المصالح بحسب الأزمنة مثلا المصلحة فى زمن الأمم السابقة اقتضت تكليفهم بشرائعهم والمصلحة فى زماننا الى آخر الدهر اقتضت تكليفنا بشرعنا . وبهذا تسقط شبهة من يقول انه يلزم على القول بالنسخ ظهور

مصلحة كانت خفية على الله تعالى . اذ يقال له ان الله عالم من الازل بمصلحة كل أمة وزمانها فرتب قديماً لكل أمة شريعة وأرسل بكل رسولا وجعل المتأخرة ناسخة للمتقدمة وعلى هـذا فلا خفاء على الله : واعلم أن الله تعالى مابنى أمر هذا الدين المتين على اكراه الناس عليه بأن يخلقه لهم ضروريا من دون كسب ولا بأن يقبله منهم وقد فعلوه كرها وإنما بناه على الكسب والاختيار والنظر في الأدلة البينة والبراهين الحقة التي يتبين بها الرشد من الغي ولذلك قال سبحانه (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي) أى لم يجر الله أمر الايمان على الجبر والقسر ولكن على التمكين والاختيار مثله . قوله (ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) أي لو شاء لقسرهم على الايمان ولكنه لم يفعل وانما بنى أمره على النظر في البراهين وعلى هذا تكون آية (لا اكراه فى الدين) خبراً من الأخبار لا حكما من الاحكام . وقد اختلف الكثير من العلماء فى تأويلها . فمنهم من قال انها نزلت فى قوم هودوا أولادهم أو نصروهم قبل الاسلام

فلما جاء النبي بهـذا الدين أرادوا اكراههم عليه فنهاهم الله عن ذلك حتى يختـاروا بأنفسهم الدخول فيه. ومنهم من قال انها نزلت فى الحصين من بنى سالم بن عوف من الانصار وقـد كان له ولدان بدينان بدين النصرانية وهو من المسلمين فقال للنبي عليه السلام ألا أستكرههما فانهما أبيا الا النصرانية فأنزل الله تعالى هذه الآية ثم نسخت بآية القتال فى سورة براءة .

ولما أن رأي بعض أصـدقائنا الفضلاء التصريح بمثل هـذه الاختلافات في أكثر كتب التفسير طلب مني بيان القول الحق قبل شروعى بتأليف هذا الكتاب وقد أجبته وقتئذ بجوابين . نوى من الفائدة ذكرهما فنقول . محصل الأول أن أهل الكتاب اذا دفعوا الجزية لايكره أحد منهم على الدخول فى هذا الدين بل يبقى على دينه والحالة كذلك ولربما نزلت هذه الآية فى قوم مخصوصين . ثم بالتنقيب في كتب التفسير العالية وجـدت البعض يقول ولله الحمد إن هـذه الآية نزلت فى خاص من الكفار ولم ينسخ منها شيء لما روى عن الضحاك أنه قال فيها أمر رسول الله صلى الله عليه وسـلم أن يقاتل جزيرة العرب من

أهل الاوثان فلم يقبل منهم الا التوحيد أو السيف ثم أمر فيمن سواهم بقبول الجزية منهم فقال الله تعالى لا اكراه فى الدين الآية . وماروي عن قتادة والواقدي وغيرهما من قولهم إنه لا اكراه في الدين بعد اسلام العرب اذا قبلوا الجزية . وذلك أن العرب أمة أمية لم يكن لهم دين ولا كتاب فلم يقبل منهم الا الاسلام أو السيف وأكرهوا على الاسلام ولم يقبل منهم الجزية فلما أسلموا ولم يبق أحد منهم الا ودخل فيه طوعا أو كرها أنزل الله تلك الآية . فأمر أن يقاتل أهل الكفر على أن يسلموا أو يقروا بالجزية فمن أقر بها خلى وشأنه ولم يكره على الاسلام . وعلى هذا تكون الآية حكما من الاحكام لا خبراً من الأخبار ويكون النفي فيها بمعنى النهى أي لا تكرهوا من أبيح لكم أخذ الجزية منه على الدخول فيه . والى هذا القول الناطق بعدم النسخ مال بعض المحققين وقال انه الأجدر بالقبول لما أن الناسخ غير كائن ناسخاً الا ما نفى حكم المنسوخ فلم يجز اجتماعهما فأما ما كان ظاهره العموم من الأمر والنهى وباطنه الخصوص فهو من الناسخ والمنسوخ بمعزل واذا كان الامر كذلك . وكان

غير مستحيل أن يقال لا اكراه لاحد ممن أخذت منهم الجزية فى الدين ولم يكن فى الآية دليل على تأويلها بغير ذلك وكان قد نقل الكثير من المسلمين عن النبي عليه السلام أنه أكره قوما على الاسلام وحكم بقتلهم ان امتنعوا عنه كعبدة الاوثان من مشركي العرب وانه لم يكره آخرين عليه بقبول الجزية كأهل الكتاب . كان بينا بذلك أن معنى الآية لا اكراه فى الدين لاحد ممن حل قبول الجزية منه بادائه إياها ولا معنى لقول من يقول انها منسوخة الحكم بالاذن بالمحاربة . وما روى من أنها نزلت في قوم أحبوا اكراه أولادهم على الدخول فيه فغير مدفوعة صحته . ثم قال وقد تنزل الآية فى أمر خاص ثم يكون حكمها عاما فى كل ما يجانس المعنى الذى أنزلت فيه فالذين أنزلت فيهم هذه الآية على ما قيل كانوا يدينون بدين أهل التوراة قبل ثبوت عقد الاسلام لهم فنهى الله تعالى عن اكراههم على الاسلام فأنزل بالنهى آية يعم حكمها كل من كان مثلهم ممن كان على دين يجوز أخذ الجزية من أهله والاقرار عليه .. ومحصل الجواب الثانى أن الآية تنبئ جليا

عن أن هـذا الدين الحق لا يكره انساناً ما على القيام بما لا تستطيعه قواه ولا يجـدر بمثله التكليف به . لما أنه دين رشد وآداب لا دين غى وضـلال كما قال سبحانه (قد تبين الرشد من الغى) وانما قلت بما لا تستطيعه قواه لان الله لا يكلف أحداً بما ليس فى وسعه كما عليه الكثير . ويرشد لذلك قوله فى آخر السورة (لا يكلف الله نفساً الا وسعها) واذا كان الحق سبحانه لا يكلف زيادة عما فى الوسع والطاقة فبالطبع لا يكره دينه أحـداً على ما ليس في طاقته وامكانه وحينئذ فيصح أن يقال إن دين الاسلام لا اكراه فيه بهذا المعنى . ولا بأس بهذا التأويل المنظور فيـه الى مطابقة الآي بعضها مع بعض من وجوه منها التعبير بلفظ فى . وابقاؤها على الظرفيـة المعنوية مادامت غير متعذرة أولى من جعلها بمعنى حرف آخر اذ يحوجنا ذلك الى مالا يحتاج اليه صريح الآية . ولكن ما جنحت اليه أولا وجريت عليه بعد قولي (واعلم أن الله تعالى ما بنى أمر هذا الدين المتين) الى قولى (وقد اختلف الكثير) الى آخره . أولى وأسلم . وقال الزجاج وغيره لا اكراه في هذه الآية مأخوذ

من قول القائل أكرهت الرجل اذا نسبته الى الكره كما يقال أكفرته وأفسقته اذا نسبته الى الكفر والفسق ومعنى الآية لا تقولوا لمن دخل بعد الحرب في الاسلام مكرهاً انه دخل مكرها لانه اذا رضى به بعد الحرب وصح اسلامه فليس بمكره أي لا تنسبوه الى الكره يدل عليه قوله تعالى (ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلم لست مؤمناً) اه فتأمله وقوله (قد تبين الرشد من الغى) استئناف تعليلى صدر بكلمة التحقيق لزيادة تقرير مضمونها كما في قوله (قد بلغت من لدنى عذرا) أى اذ قد تبين الرشد من الغي وظهر الحق من الباطل كيف ولا يتبين هذا من ذلك وقد تكفل بالبيان بوحي من الله تعالى ذلك الرسول الاعظم الذى قال الله فيه (ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى) أدخلنا الله فى شفاعته وأولانا رضاه وفى هذا كفاية فتدبره بانصاف وكن من الشاكرين

﴿ ماينبغى الوقوف عليه مما جاء به الدين الاسلامى ﴾

مما ينبغي الوقوف عليه والاعتقاد به حسبما جاء به الدين الاسلامي . ان الله خلق سبع سموات طباقا ومن أعلاها جسما عظيما يسمى بالكرسي ومن فوقه آخر يسمى بالعرش : وأنه خلق جسمين آخرين يدعى أحدهما باللوح وثانيهما بالقلم لتسطير مافى العالم لحكمة يعلمها سبحانه لالداع يدعو اليه . وقد نطقت بذلك نصوص شريعتنا الغراء . ولا يغرك انكار متأخرى الفلاسفة من الفلكيين لذلك لعدم مشاهدتهم هذه الاشياء وعدم رؤيتهم أجسامها بالنظارات المجسمة . اذ عدم الرؤية لا يستلزم عدم الوجود على أن عدمها لعله لشدة بعدها عن الارض بمسافات بعيدة لا تصلح النظارات معها لان تحقق جسميتها : وأنه خلق الكواكب وجعلها زينة السماء . وحفظا من الشياطين . ورجوما لهم لأنهم يصعدون الى قرب السماء لا ستراق السمع من الملائكة . وقد اختلف العلماء فى محلها فمنهم من قال انها مركوزة فى نفس السماء وعليه

فيكون معنى كونها زينة السماء الدنيا ظاهراً . ومنهم من قال انها قائمة فى الفضاء بناموس الجاذبية بين السماء والارض وعليه فيكون معنى كونها زينة السماء أنها زينتها بحسب مرأى الرائين وان كانت دونها : وأنه خلق سبع أرضين وقد اختلف العلماء أيضا فى المراد من ذلك فقال بعضهم المراد بها أقاليم الأرض السبعة وقال آخرون المراد طبقاتها المتراكمة على بعضها وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن كل أرض منها كأرضنا وفيها عالم كعالمنا : واعلم أن الارض كروية وأن الشمس لا تسير حولها وانما لها دورة بطيئة على محورها والارض هي التي تدور دورتين احداهما سنوية حول الشمس تتولد منها الفصول الاربعة . والاخري يومية على محورها تتولد منها أوقات الليل والنهار . وعلى هذا فالمراد من جرى الشمس في قوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها) دورانها على محورها وأنها تجرى الى استقرار لها بعد ذلك عند ما تنقضى عوالم الارض والسماء بمجيء اليوم الآخر . وذهب الكثير الى أنها بسيطة لقوله تعالى (والارض بعد ذلك دحاها) والحق الاول وعليه فالمراد

من هذه الآية أنه تعالى جعلها صالحة لسكنى الحيوانات بعد أن لم تكن كذلك : وأنه خلق داراً تسمى الجنة أعدها لنعيم السعداء من خلقه قال تعالى (فأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض) وداراً أخرى تسمى النار أعدها لعذاب الاشقياء من عباده قال تعالى (وأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين مادامت السموات والارض) قيل سماء الجنة والنار وأرضهما وقيل غير ذلك : وبهذين الآيتين تعلم أنهما دائمتان لا يطرأ عليها عدم مستمر ولا يعتريها وأهلها فناء وما ذهب اليه بعض المبتدعة من أنهما تفنيان وتفنى أهلهما فمخالف للكتاب والسنة والاجماع : هذا والادلة على وجودهما اليوم كثيرة منها قوله تعالى فى الجنة (أعدت للمتقين) وقوله فى النار (أعدت للكافرين) ولا حاجة لتأويل أعدت (بستعد) اذلا ضرورة فى العدول عن الظاهر وأما قوله تعالى (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا)

فيحتمل الحال والاستقبال وبهذا يبطل مازعمه المعتزلة

من أنهما يخلقان يوم الجزاء . ولنا في هذا المقام وفى اسكان آدم وحواء عليهما السلام (الجنة) كلام نستوفيه في غير هذا الكتاب . هذا وقد بقي أشياء كثيرة ينبغى الاعتقاد بها والوقوف عليها ولولا ضيق الوقت لسردناها عليك ولكن نذكر لك مايفتح به الله علينا فنقول وبالله التوفيق

﴿ حوض الرسول وشفاعته وإسراؤه ومعراجه ﴾

مما جاء به الدين الاسلامي وينبني الوقوف عليه والاعتقاد به أيضاً أن للنبي عليه السلام حوضا خصه الله به يوم القيامة كما قال صلى الله عليه وسلم حوضى مسيرة شهر وزواياه (أطرافه) سواء وماؤه أبيض من اللبن . وأنه يشفع فى أهل الموقف حتى يقضى بينهم بعد أن يتراجع الأنبياء آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى الشفاعة حتى تنتهى اليه . ويشفع فى أهل الجنة أن يدخلوها . وهاتان الشفاعتان خاصتان له . ويشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها وهذه له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم فيمن استحق دخولها . ويشفع

فيمن دخلها أن يخرج منها . واعلم أن الله تعالى نص على صحة الشفاعة وثبوتها فى الجملة في القرآن فقال (لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) وعلى أنها تنفع يوم القيامة فقال (يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولا) فنص سبحانه على أنها تنفع ممن أذن له ورضي قوله وأجدر الخلق بذلك نبينا محمد عليه السلام لما ثبت بالبراهين القاطعة فيما تقدم أنه أفضل الخلق على الاطلاق . وقال (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) وقال (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه . وكم من ملك فى السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال (مامن شفيع الا من بعد اذنه) الى غير ذلك من الآيات الدالة على صحتها وثبوتها فى الجملة وصحت بذلك الاخبار المتواتر المعنى المتناصرة بنقل الكواف لها : ثم ان هذه الشفاعة التي أوجبها الله تعالى لمن أذن له ورضي قوله . انما هي لمذنبي المسلمين كما قال عليه السلام . شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى . وهو حديث مشهور تلقته الاخيار بالقبول : هذا وأما مثل قوله

تعالى (واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة) وقوله (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) وقوله (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) فيجب التخصيص فيه بالكفار جمعاً بين الأدلة . وبهذا تعلم تفنيد ما ذهبت اليه المعتزلة والخوارج . ولنا (رسالة في الشفاعة والتوسل والزيارة والدعاء) بينا فيها مايدعو اليه الدين القويم . وما ظهورها فى عالم المطبوعات على الله بعزيز : ومنه أن الله تعالى أسرى بذلك الرسول الأعظم في ليلة واحدة من المسجد الحرام فى (مكة) الى المسجد الاقصى فى (القدس) قال تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى) ومن نظر مى نظر منصف الى سرعة الحركة للاجسام مهما بلغت القدر العظيم كالمشتري الذى يجرى ثلاثين ألف ميل فى الساعة الواحدة كما تقدم وعلم أن تلك السرعة من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف القدرة الالهية . فلا يسعه انكار (الاسراء) بوجه من الوجوه حتى ولا انكار (المعراج) على القول بأنه كان في اليقظة بالجسم الى السماء . وقد ورد في صحيح

الأحاديث أنه تعالى أصعد النبي فى تلك الليلة الى السموات العلى ثم أعاده الى مكة فى تلك الليلة قبل أن يطلع الفجر . ولنا فى حقيقة المعراج كلام نذكره فى غير هذا المختصر

﴿ معرفة الرسل إجمالا وتفصيلا . ونصب الامام ﴾

مما جاء به الدين الاسلامي وينبغى الاعتقاد به والوقوف عليه أيضاً وجوب الايمان علينا بجميع الرسل إجمالا والأحسن أن يمسك عن العدد لقوله تعالى (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) لكن يجب ذلك تفصيلا بالرسل المذكورين بأسمائهم فى القرآن وهم . آدم . ادريس . نوح . يونس . هود . الياس . داود . اليسع . لوط . ذوالكفل . ذكريا . يحى . شعيب . صالح . أيوب . هارون . يعقوب . يوسف . سليمان . موسى . عيسى . ابراهيم . اسحاق . اسماعيل محمد . عليه وعليهم الصلاة والسلام . واعلم أنا ذكرنا لك فيما تقدم أن أفضل الرسل والملائكة والناس أجمع نبينا صلى الله عليه وسلم . وأما باقى هؤلاء الرسل بالنسبة الى رسل الملائكة فقد

اختلف العلماء فى تفضيل أحد الفريقين على الآخر حتى طال بينهم النزاع . وهو مما لايجدى نفعاً ولا يرجع بغير الشقاق على أن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وهو ذو الفضل العظيم أما رسل الملائكة فهم أفضل من عامة النوع الانساني بالاجماع وعامة النوع الانسانى أفضل من عامة الملائكة . لما أن الانسان يقوم بعبادة الله تعالى وتحصيل الفضائل والكمالات العلمية والعملية مع وجود العلائق والموانع من نحو الشهوة والغضب وتوالى الحاجات الشاغلة عن احراز ماتوده النفوس الأبية . ولا شك أن القيام بالعبادة وكسب فضائل الأعمال مع ما يتراكم من الشواغل والموانع أشق وأدخل فى الاخلاص . فيكون أفضل كما قال عليه السلام أفضل الاعمال أحمزها (أشقها) . ومنه نصب الامام فيجب على المسلمين كافة أن ينصبوا إماما متفكراً ثابت الجأش . لاقامة الحدود . وسد الثغور . وتجهيز الجيوش . وتبديد أوابد البغاة . وقهر اللصوص . وقطع المتغلبة . ونزع قطاع الطرق . وهدم مايقع بين العباد من المنازعات . وقبول الشهادات القائمة على الحقوق

واقامة الجمع والاعياد . وحسم ما تتنازع عليه الناس . ومنع ما تتسارع اليه أرباب الاغراض . اذلا يتم جميع ذلك بين أفراد الامة الاسلامية الا (بامام) يرجع اليه . وفي المهمات يعول عليه . وقد أجمعت الصحابة رضوان الله عليهم على ذلك بعد وفاة النبي الأمين : ويجب على جميع الرعايا اطاعة إمامهم ظاهراً وباطنا فيما لا يخالف الدين كما تقدم (في أوامر الله ونواهيه) قال تعالى (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) وقد فسر علماء التفسير أولى الامر بالأمراء والعلماء وقال عليه السلام من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد أطاعني وانما الامام جنة يقاتل من ورائه ويتقي به . ذكره البخاري في صحيحه: ونصرته على من يسعون وراءه بالفساد من الأعداء والأضداد : والدعاء له بما تؤده الآداب ويطلبه الدين . واني أسأل الحق سبحانه وهو السميع المجيب . أن يؤيد بنصر منه وروح من عنده إمامنا أمير المؤمنين خليفة الرسول الاعظم السلطان الغازي في سبيل الله السلطان (عبد الحميد خان) اذ هو الخليفة المنصوب لتأييد الحق

ونصرة الاسلام وسائر ما تطلبه الآداب

﴿ السؤال يوم القيامة . ومرتكب الذنوب .
والمقتول . والرزق ﴾

مما ينبغي الوقوف عليه والاعتقاد به أيضاً أنه تعالى يسأل المؤمنين يوم القيامة قال عز من قائل (لنسألنهم أجمعين) وقال عليه السلام : ان الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول نعم أي رب حتى اذا قرره بذنوبه ورأى فى نفسه أنه هلك قال تعالى سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته . وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين : ومنه أن الكبائر من الذنوب لاتخرج المؤمن من الايمان . واطلاق الكثير من الآيات والأحاديث على مرتكبها انه مؤمن أعظم دليل على مانقول . ولا تخلده في النار الا اذا فعلها عن استحلال

اذ الاستحلال كفر لما فيه من التكذيب المنافى للايمان . وبهذا تؤول النصوص الدالة على تخليد العصاة فى النار مثل قوله تعالى (ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها) ولا شك أن قاتل المؤمن لاستحلاله قتله أو لكونه مؤمنا لا يكون الا كافراً جزاؤه جهنم خالداً فيها : واعلم أن الناس قد انقسموا فى مرتكب الكبيرة على ثلاثة أقسام . طرفين . ووسط (أحد الطرفين) أنه ليس بمؤمن بوجه ما ولا يدخل فى عموم الأحكام المتعلقة باسم الايمان ثم من هؤلاء من يقول هو كافر كعابد الأوثان والأصنام وهم الخوارج . ومنهم من يقول انه ليس مؤمنا ولا كافراً وهذا هو المنزلة بين منزلة الايمان ومنزلة الكفر وهم المعتزلة وهؤلاء يقولون إنه يخلد في النار . وهذا القول مخالف . للكتاب أولا قال تعالى (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى) الى قوله (انما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم) فقد سماهم الله مؤمنين وجعلهم إخوة مع ارتكابهم أفظع الكبائر . وللسنة ثانيا اذ قد ثبت الزنا والسرقة وشرب الخمر

على أناس فى عهد الرسول . ولم يحكم فيهم حكم من كفر بل جلد هذا . وقطع هذا . ورجم هذا . وهو فى ذلك يستغفر لهم ويقول لاتكونوا أعوان الشياطين على أخيكم . وللاجماع ثالثا اذ قد أجمعت الأئمة الأعلام على أنه لايكفر أحد من أهل القبلة بذنب ولا يخرج من الاسلام بعمل (الطرف الثانى) قول من يقول ايمانه باق كما كان لم ينقص منه شئ . بناء على أن الايمان مجرد الاعتقاد فقط وهو لم يتغير . ولا أدرى ماذا تصنع أصحاب هذا القول فى مثل قوله تعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون) (والقول الوسط) قول من قال هو مؤمن ناقص الايمان أو مؤمن عاص أو مؤمن بايمانه . فاسق بعصيانه . ويقال ليس بمؤمن حقا أوليس بصادق الايمان . وهذا ماتميل اليه النفس . وبه تؤول النصوص الدالة على سلب اسم الايمان عن العصاة . ويؤيد هذا القول قوله عليه السلام فى الحديث الذى رواه الترمذى وأبو داود . اذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان فوق رأسه كالظلة فاذا

خرج من ذلك العمل عاد اليه الايمان . اذ فيه دليل على أن الايمان لا يفارقه بالكلية فان الظلة تظال صاحبها وهي مرتبطة به نوع ارتباط . هذا ويجوز العفو عن الكبائر أجمع خلا الكبيرة المطلقة التى هي الكفر لقوله تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) وبهذه الآية تعلم جواز العقاب على الصغائر فان من لا يشاء أن يغفر له لا يكون مغفوراً له بالطبع بل يكون معاقبا على ما قدمته يداه : ومنه أن المقتول ميت في الوقت الذى قدر الله له وعلم أنه يموت فيه . وأجله واحد : ومنه أن كل شخص لا بد أن يستوفى رزقه الذى قدره الله له . والرزق اسم لما يسوقه الله سبحانه الى الحيوان فيتناوله وهو كما يكون حلالا يكون حراما رزقنا الله الحلال وأبعدنا عن الحرام

﴿ من الدين معرفة تاريخ حياة الرسول عليه السلام ﴾

لما كان من الواجب وجوبا أدبيا معرفة تاريخ حياة المصطفى صلى الله عليه وسلم رأيت أن أتمم الفائدة لطالبيها

بذكر مجمل ذلك التاريخ مع بيان شئ من شمائل وغزوات ذلك الرسول وذكر نسبه الشريف فأقول . لما تعلقت ارادة الله تعالى بايجاد رسوله الأكرم ليكون عليه مدار الحياة فى مشارق الارض ومغاربها وقوام دعائم العمران الاسلامى في أنحاء المعمورة . وفق سبحانه بين والده (عبدالله) ووالدته (آمنة) فصار بينهما اجراء العقد اللازم . وبعد قليل من الزمن دخل بها فى الديار المكية في شعب أبى طالب فحملت به (ص[1]) وكانت ترى وقتئذ من الآيات الصادقة . مايشهد له بالرفعة فى مستقبله بين ظهرانى الأمة الاسلامية وينطق بعظيم المكانة عند مبدعه الذى أيده بروح من عنده وألبسه لباس الوقار . ويبشر بجليل أعماله التى لاتخرج عن قانون الاخلاق العالية ولا تنبو عن دستور الذوق السليم . وبعد انتهاء مدة الحمل وضعته في مكة المكرمة كاملا مكملا فى خلقته التى أبدعها الله بقدرته وأودعها من الحكم حكمة تعجز عن ادراكها مدارك الافهام

---

(١) هذا رمز الى قولى (صلى الله عليه وسلم) فتفطن له في كل ماسيأتي في هذا الباب من أمثاله اه

وما ظهر (ص) للعيان الا وأشرقت شموس الحضارة فى سمائها. وطلعت بدور العمران فى أرجائها بعد ما أصبحت محجوبة عن أعين الناظرين احتجاب المخدرات في الخدور وأفلت أفول البدور الحقيقية في ليالى المحاق . وقد سمى محمداً إلهاما من الله تعالى رجاء أن يحمد وقد حقق سبحانه ذلك الرجاء كيف وقد اصطفاه من أشرف القبائل علما وأدبا . وأكرم العشائر حسبا ونسبا . منتقلا من أصلاب أشراف الرجال . الى أرحام شريفات النساء. بعقد النكاح ولم يصبه من سفاح الجاهلية شيء وقد كان مولده حين طلوع فجر يوم الاثنين تاسع ربيع الاول من عام الفيل سنة خمسماية وواحد وسبعين مسيحية : ثم عرض على كثير من النساء للارضاع حسب عادة العرب فانهم يرضعون المولود من غير أمه اعتقاداً منهم بان ذلك أدعى لسمو أفكار الرضيع واحرازه في النجابة مكانا رفيعا. وما كان ممن عرض عليهن سوى الامتناع لفقر أمه وموت أبيه فانه كان توفي وهو فى جنان الأرحام . غير حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية فقد رضيته فأخذته الى بلادها وأقامت به اذ ذاك

أربع سنوات . ثم عادت به الى مكة وسلمته لأمه الأمينة فقامت بخدمته الى أن توفيت وعمره ست سنوات فأخذ بتربيته جده عبد المطلب . ثم توفي وعمره ثماني سنوات وقد كان أوصى بكفالته الى عمه أبي طالب فاحسن الكفالة وعزز الوصية وقام بالواجبات نحوه حسبما تشاء القرابة وتوده صلة الأرحام وكان يحبه حبا شديداً حتى بلغ من حبه له أن لا ينام الا الى جانبه ولا يخرج الا معه كيفما سار : وهو في تلك المدة مثال الآداب وعنوان القناعة لا يجنح نحو السفاسف التي تتعودها الأطفال ولا يشتغل بما يحط بالعواطف الشريفة ويزرى بمكارم الاخلاق . ولما بلغ (ص) اثنتى عشر سنة سافر به عمه الى الشام فى تجارة . فرآه راهب يدعى بحيرى فتفرس فيه رقيا فى أفكاره وشأواً عظيما في مستقبله . وشأنا رفيعاً فى قومه . وقال لعمه ان هذا نبي كريم يختاره الله لوحيه . واني لأظنه الذى بشر به (عيسى) عليه السلام في انجيله فان زمانه قرب كما أخبر به (دنيال) فى نبوته فتحفظ عليه ولا تفارقه خوفا من أن تقتله فجرة اليهود . فرده أبو طالب الى مكة ثم لما شب تعاطى التجارة

ولم يتعلم علما ولا سحراً . ولا اجتمع على أحد من الحكماء والفلاسفة . فهو أمي تربى تربية غيره من أبناء قومه اليتماء الفقراء يشهد لذلك عدم اتهام قريش له بالقراءة والكتابة (ولا يحط عدمها بنبي ألهمه الله علوم الاولين والآخرين) نعم كانوا يقولون بعد انتشار دعوته وتزييفه ما كانوا عليه من المعتقدات الباطلة وتسفيهه تلك الأحلام . ان (سلمان الفارسى) يعلمه مع أن سلمان كان فارسياً لا يحسن العربية كما قال تعالى (لسان الذى يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) على أنهما ما اصطحبا الا بعد انتشار الاسلام . ولما بلغ (ص) العشرين من عمره وكلت اليه خديجة بنت خويلد السفر الى الشام فى تجارة لها مع غلامها ميسرة وكانت موصوفة بالغنى وحسن العقل فقبل ذلك وسافر وربح . ولما آب الى مكة أخبر ميسرة خديجة بما شاهده فيه من العفة والأمانة وحسن الاستقامة . فوقع فى قلبها حبه فعرضت عليه أن يتزوجها فأجابها بعبارات تشف عن الآداب وتنبئ عن مكارم الاخلاق . ثم عرض الأمر على أعمامه فاستحسنوه لما هو معلوم لديهم من أنها من أطهر

المشائر وأطيب الأعراق فذهب (ص) ومعه حمزة بن عبد المطلب حتى دخل على عمها عمرو بن أسد وخطبها منه فقبل بكل ممنونية وارتياح . ثم اجتمع جميع أعمامه وسائر مضر وعقدوا له عليها وكان عمرها وقتئذ أربعين سنة وهو فى الخامسة والعشرين . فدخل بها وقد رزقه الله منها جميع أولاده الا ولده ابراهيم فانه من مارية القبطية ثم توفاها الحق سبحانه قبل الهجرة بثلاث سنين فأسف (ص) عليها شديداً لما شاهده فيها من الأدب الفطرى . والذوق الطبيعى . وما رآه من سلوكها مناهج العفة الاسلامية وسبل السداد وطرق الثبات . ولما بلغ (ص) الخامسة والثلاثين جددت قريش بناء (الكعبة) لتصدع جدرانها بسيل دخلها بعد حريق أصابها من تبخيرها وكان (ص) ينقل معهم ما يلزم لذلك من حجارة وغيرها فلما وصلوا الى موضع (الحجر الأسود) اختلفوا فيمن يضعه حتى كاد أن تقع بينهم الحروب . ثم اتفقوا على أن يضعه أول داخل عليهم وكان هو (ص) أول الداخلين فرضوا بوضعه له لما يعهدون فيه من الصدق والأمانة . وكان يدعى فى صغره

بالأمين فوضعه بيده الشريفة فاطمأنت الخواطر وهدأت النفوس. ولما قربت أيام الوحي حبب الله اليه الخلوة فكان يختلي (في غار حراء) ويتعبد فيه حسبما يلهمه الله ثم أتاه الوحي على رأس الأربعين. وأول مابديء به الرؤيا الصادقة في النوم وكلما رأى رؤيا جاءت مثل فلق الصبح وبعد مضي مدة من الزمن وافاه جبريل عليه السلام وهو في الغار في شهر رمضان وقال له. اقرأ فقال ما أنا بقارئ فكررها جبريل مرتين ثم قال له في الثالثة (إقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق إقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) فانطلق الى خديجة يرجف فؤاده من هول مارأى مما لا يعرفه من قبل وأخبرها الخبر فسكنت روعه وثبتت فؤاده بقولها له. لاتخف ان الله لايخزيك أبداً انك تصل الرحم وتقرى الضيف وتعين على الشدائد. ثم أخذت بيده الى ابن عمها (ورقة بن نوفل) وكان عالماً فى قومه واسع الاطلاع على كتب الاقدمين. وما أخبرته بما وقع الا ومال الى جانب النبي وقال هذا الناموس الذي أنزله الله على موسى يا ليتني

أكون حياً اذ يخرجك قومك قال أو مخرجي هم فقال نعم لم يجئ أحد بمثل ما جئت به الا وعاداه الكثير وإن يدركني يومك أنصرك نصراً عزيزاً . ثم توفي ورقة . وفتر عن النبي الوحي حتى يذهب روعه ويشتاق اليه . ثم أنزل عليه قوله تعالى (يا أيها المدثر قم فأنذر) وبعد ذلك تتابع الوحي : وأول ما فرض عليه من أحكام الاسلام الانذار وبث الدعوة الى التوحيد وترك عبادة الأوثان فأخذ يدعو سراً من يعرف فى وجهه الامتثال . فتبعته زوجته (خديجة وعلى بن أبى طالب وزيد ابن حارثة) ثم عثر عليه عمه (أبو طالب) وهو يصلى مع (على) فقال له ماهذا الدين الذى تدين به يامحمد فقال دين الله والملائكة والمرسلين بعثني الله به رسولا الى العباد وأنت أحق من أبذل له النصح وأدعوه الى الهدى وأحق من أجابنى اليه ونصرني نصراً مؤزراً . فقال انه لا يمكنني أن أفارق ديني ولكن لك علىّ أن لا أخذ لك ماحييت . ثم أسلم باقي العشرة المبشرين بالجنة . ثم جاء اليه أمر الله تعالى باظهار الدعوة فى قوله عز من قائل (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين)

فقام يجاهر بالدعوة ويقيم فرائض الشرع علانية وقد ترتب على ذلك ما ترتب من ايذاء الكفار ومعاداة قومه له : لذلك ذهب كفار قريش الى عمه أبي طالب يشكون اليه أمره وما هو عليه من الدين الذي سفه أحلامهم وذم دياناتهم وأبو طالب يذب عنه وفى آخر المرات قالوا له أعطنا محمداً (ص) وخذ بدله عمارة بن الوليد فقال . وهل يجدر بى أن أكفل ابنكم وأعطيكم ابني لتقتلوه إن هذا لأمر عجيب . ولما علموا تعضيد عمه له وعدم اجابته طلبهم زادوا فى ايذائه وايذاء من اتبعه حتى صار الواحد منهم يجلس فى الطرقات يحذر الناس منه . وكلما شاع أمره وظهر دينه ازدادوا بغياً وايذاء . ثم اجتمعوا وقالوا لقومه سلموا لنا أن يقتله واحد من غير قريش ليرتاح الكل من خطبه المدلهم وكارثه الجلل . ولكم منا دية مضاعفة فامتنع كل الامتناع (بنو هاشم وبنو المطلب) وقد كان دعامة لنصره والذب عنه عمه (أبو طالب)فأجابوه غير (أبى لهب) فانه كان يجاهر بالعداوة والبغضاء ظلما واستبداداً : ولما نالت قريش منه من الايذاء ما نالت خرج (ص) الى الطائف يلتمس

المعونة من بني ثقيف فلم يجد منهم غير البغي والعدوان ولكن بحزمه وثباته رد الله كيد العدو في نحره فأخذ الدين بالانتشار الفائق الحد حتى صار يأخذ بناصره الصغير والكبير بما لا مزيد عليه . لا سيما من بايعوه من الاوس والخزرج على أن يعززوه وينصروه ومن اتبعه من الاصحاب والآل ثم في سنة اثنتي عشرة من النبوة أسري به ليلا من (المسجد الحرام) الى (المسجد الاقصى) في شهر رجب الأغر فأم اذ ذاك بالانبياء عليهم السلام وعرج به الى السماء وفي تلك الليلة فرضت عليه وعلى أمته (الصلوات الخمس) ولما أصبح أخبر الناس فكذبه من كذب وصدقه من صدق . وبعد أن مكث في مكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة أذنه الله تعالى بالهجرة الى المدينة المنورة فهاجر وأقام هناك عشر سنين . ثم توفاه الحق سبحانه فيها بعد ما أحرز مقصده ونال مبتغاه وعمره ثلاث وستون سنة . ومدة نبوته ورسالته ثلاث وعشرون وفي هذا الكفاية ومن أراد بسط المقام فعليه بالمطولات

﴿ شمائله عليه السلام وغزواته ونسبه الشريف ﴾

ليكن فى علمك أن شمائله الشريفة كثيرة جداً تكاد أن لا تحصى ولنذكر لك بعضها فنقول كان (ص) عظيما في نفسه معظما في صدور الصدور . لا يستطيع الحارص على ترك تعظيمه أن لا يعظمه لما أودعه الله سبحانه من عظيم الهيبة ورفيع الاجلال : حسبك ما كان عليه من جميل الصفات . اذا مشى رفع رجليه بقوة مع رفق ولين وتثبت ووقار . وتواضع وانكسار . لا كمشى المعجب بنفسه . المتكبر على أبناء جنسه . واذا التفت التفت بكله . وكان نظره الى الارض أكثر منه الى السماء . جميل المنظر يتلألأ وجهه نوراً تلألؤ البدر ليلة تمامه معتدل الخلقة لا سمين ولا نحيف . أطول من المربوع وأقصر من الطويل البائن . عظيم الهامة رجل الشعر أزهر اللون واسع الجبين أزج الحاجبين بلا قرن أقنى العرنين له نور يعلوه يظنه من لم يتأمله أشم . كث اللحية أسيل الخدين ضليع الفم مفلج الاسنان دقيق المسربة بديع العنق كانه جيد دمية

فى صفاء الفضة صدره وبطنه سواء لا ينتأ أحدهما عن الآخر عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين عظيم رءوس العظام نير العضو المتجرد عن الشعر أو الثوب. موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجرى كالخيط عارى الثديين والبطن من الشعر مما سوى ذلك . أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر . طويل الزندين واسع الراحة غليظ أصابع الكفين والقدمين مرتفع الأطراف بلا احد يداب ولا انقباض معتدل الأخمصين مستوي القدمين لا تكسر فيهما ولا تقشف ينبو الماء عنهما اذا صب عليهما . وبالجملة فهو كما قال ناعته ما رأيت أجمل ولا أحسن منه حتى كانه خلق كما يشاء كاملا مكملا لا يدانيه فى كماله رسول كما لا يجاريه فى سائر صفاته انسان. لاسيما في سكينته الباعثة على الهيبة والوقار . وطلاقة وجهه الموجبة للمودة والاخلاص وحسن القبول الجالب ما نفر من القلوب . ورجاحة عقله وصحة رأيه وصدق فراسته . وثباته فى الشدائد وصبره على البأساء . وزهده فى الدنيا اذ ما مال الى غضارتها. ولا جنح لحلاوتها . وتواضعه

وانكساره وخفض جناحه لاصحابه وحلمه وادبه وحفظه للعهد. ووفائه بالوعد. اذ كان يرى النقض من أكبر الذنوب والاخلاف من أشد العيوب. وحكمته البالغة وعلومه الباهرة وهو أمي من أمة أمية كما قلنا أولا. وحفظه لما أطلعه الله عليه من أخبار النبيين وأنباء العالم فى الزمن الغابر فلم يجد صغيرة منها ولا كبيرة الا أحصاها. لفكره الثاقب وذهنه الحسن وإحرازه جوامع الكلم وإحكامه أحكام شرعه الاقوم بأظهر دليل وأوضح برهان. وجمعه محاسن الاخلاق فكان يصل الارحام ويعطف على الضعفاء ولا يود التباغض والتحاسد والتقاطع والتباعد. وحفظه لسانه من التحريف في القول والاسترسال في الكذب والبهتان. وفصاحته العربية اذ كان أفصح الناس لسانا. وأوضحهم بيانا. وأوجزهم كلاما وأجزلهم لفظا لاتظهر فيه هجنة التكلف ولا فيهة التعسف. وتصديه لاقامة معالم الدين ونوازل الاحكام. حتى أوضح لامته العبادات وبين مايحل ويحرم من المباحات والمحظورات. وفصل الجائز والممتنع من المواريث والمعاملات. حتى احتاج لشرعه اليهود

وغيرهم فى كثير من الاشياء ولم يحتج شرعه الى شرع غيره. وانتصابه لجهاد الكفار وقد أحاطوا بجهاته وأحدقوا بجنباته. وما خص به من الشجاعة والبسالة اذا هجم الليل بظلامه والعزم والحزم اذا قامت الحرب على ساقها ووثبت لمقاومته الاعداء. وما منحه الحق سبحانه من السخاء والجود. وبالاختصار فقد كان (ص) انسان الكمال. وعين الجلال. حسبه ثناء الله عليه بعظيم الأخلاق الجامع لأنواع الكمالات وامتداحه له فى كتابه المبين فى قوله (وانك لعلى خلق عظيم) لهذا أقول

رسول عليه الله أثنى وإنه تسامى كبدر التم نوراً مذانشا
اثن خصه المجد الأثيل بفضله ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشا﴾

وأما غزواته (ص) فقد غزا بنفسه مع أصحابه سبعاً وعشرين غزوة أهمها (غزوة بدر) الكبرى وكانت فى السنة الثانية من الهجرة وقد انتصر فيها على كفار قريش مع قلة عدد الصحابة وكثرة عدد الكفار ووفرة عُددهم و (غزوة أحد) وكانت فى السنة الثالثة من الهجرة وقد اشتد الكرب

فيها على المسلمين ورأوا فيها مصائب جمة لمخالفتهم أمر الرسول (ص) ولكن كانت العاقبة خيراً (نصر من الله وفتح قريب) و (غزوة الأحزاب . أو الخندق) وكانت فى السنة الرابعة من الهجرة وفيها اجتمعت أحزاب لاتحصى من العرب مع كفار قريش فألهم (ص) عمل الخندق حول المدينة . وقيل إن الذى أشار عليه بذلك سلمان الفارسى . وبه صدت الكفار عن الدخول فى المدينة فوضعوا خيامهم على مقربة من الخندق وصاروا يحاربون . فقتل على بن ابى طالب كرم الله وجهه عمرو بن عبدود وكان أعظمهم قوة وبطشا . ففزعت لموته تلك الكفار وزاد فزعهم أن هبت عليهم ريح عاصف . فوضت خيامهم وجعلت أعمالهم هباء . ووقع بينهم الخلف والشقاق فهجم المسلمون عليهم ففروا من أمامهم هاربين بعد ما قتل منهم العدد العظيم و (غزوة خيبر) وكانت فى السنة السابعة من الهجرة (وخيبر) مدينة فى الشمال الشرقي للمدينة . ففتح المسلمون حصونها وانتصروا نصرا مبيناً على من فيها من اليهود . وفي هذه السنة أيضاً أرسل النبي (ص)

الى الملوك يدعوهم الى الاسلام . فمنهم من أسلم . ومنهم من وعد . وأرسل الهدايا . ومنهم من لم يجب ومزق الكتاب كل ممزق فدمر الله ملكه تدميرا . فأما الذين لبوا الدعوة فهم (هرقل) ملك الرومان الذى بعث اليه بالهدايا الثمينة . وأما (كسرى) ملك فارس فلم يجب الدعوة بل مزق الكتاب لذلك بدد الله ملكه وجعله غنيمة للمسلمين و(غزوة الفتح)أي فتح مكة وكانت فى السنة الثامنة . وسببها ان كفار قريش نقضوا العهد الذى كان بينهم وبين الرسول (ص) فسار اليهم فى عشرة آلاف مقاتل وحاربهم وانتصر عليهم وفتح مكة عنوة وكسر الاصنام . وأعلى كلمة الاسلام .

وأما نسبه الشريف (ص) فهو (محمد بن عبد الله) من زوجه آمنة بنت وهب الزهرية القرشية (ابن عبد المطلب) من زوجه فاطمة بنت عمرو المخزومية (ابن هاشم)من زوجه سلمى بنت عمرو النجارية (ابن عبد مناف) من زوجه عاتكة بنت مرة السلمية (ابن قصى) من زوجه حبى الخزاعية(ابن كلاب) من زوجه فاطمة بنت سعد وهى يمانية من أزد شنؤة

(ابن مرة) من زوجه هند بنت سرير من بني فهر (ابن كعب) من زوجه محشية بنت شيبان من بني فهر أيضا (ابن لؤى) من زوجه مارية أم كعب من قضاعة (ابن غالب) من زوجه أم لؤي عاتكة بنت يخلد من بنى النضر (ابن فهر) من زوجه أم غالب ليلى بنت الحارث من هذيل (ابن مالك) من زوجه جندلة بنت عامر من جرهم (ابن النضر) من زوجه عاتكة بنت عدوان ابن قيس عيلان (ابن كنانة) من زوجه برة بنت مرّ من بنى تميم (ابن خزيمة) من زوجه عوانة بنت سعد بن قيس عيلان (ابن مدركة) من زوجه سلمى بنت أسلم من قضاعة (ابن الياس) من زوجه خندف المضروب بها المثل في الشرف والعفاف (ابن مضر) من زوجه الرباب بنت جندة بن معد (ابن نذار) من زوجه سودة بنت عك (ابن معد) من زوجه معانة بنت جوشم من جرهم (ابن عدنان) . هذا ما اتفقت عليه كلمة العلماء محدثين ومؤرخين وأما ما فوق ذلك فلم يصح فيه طريق غاية الأمر أنهم أجمعوا على أن نسبه ينتهي الى اسماعيل بن ابراهيم أبي العرب

المستعربة عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام (أقول)

نسب يانع الثمار كدوح أزهرت في رياضه الأزهار
صغت فيه القريض عفواً وإني أنا روض وزهري الأشعار

آباء طاهرون . وأمهات طاهرات . لم يزل (ص) ينتقل من أصلاب أولئك الى أرحام هؤلاء . وكل اجتماع بين آبائه وأمهاته كان شرعياً بحسب الأصول العربية . ولم ينل نسبه شيء من سفاح الجاهلية . ولا شك أن شرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة .

﴿ تتمة الباب . حكمة الشعر . في امتداح الرسول ﴾

رأيت من الفائدة تتميم هذا الباب بذكر (قصيدتي الهمزية) المدعوة (حكمة الشعر) التي رصعها اليراع في امتداح ذلك الرسول (ص) — فدونكها (قصيدة) تفعل بالقلوب فعل الصهباء ان لم تقل فعل الهدى بأئمة المهتدين (قصيدة) أصبحت بما اشتملت عليه آية القريض لاحشو يشينها . ولا ابتذال يحط بها . خلصت ولله الحمد مما تمجه الأسماع الطاهرة

وتأباه الأذواق السليمة نحو لفظ . الورى . والملا . ونخري . ومفاخرى . من كل لفظ يشوه الشعر ويسقط مكانته عندالشعراء . ونحو أعني . وحينئذ . وحقا . من كل لفظ مبتذل عضت عليه الفقهاء بالنواجذ . ونحو استشذر . وتكأ كأ . واطلخم . من كل لفظ وحشى أو غريب ردئ الاستعمال . ونحو قد (ولو كانت للتحقيق) وقاطبة . من كل لفظ أصبح كعصايتوكأ عليها العاجزولا يمشى بدونها (الضرير) وقد قسمناها أقساما وجعلناها من قبيل المحمس هربا من السآمة . وفراراً من الملال . فجاءت بعون الله كما أحب . ويحبه كل مخلص ودود . ويعجبنى ماقاله فيها شيخنا العلامة

(الشيخ محمد بخيت المطيعى أطال الله بقاه)

هذه (حكمة) من الشعر جاءت من (سليم) من كل عي وغي (سيد) ينظم الدرارى عقودا بخير (مدح) يهدي لخير (نبي)

﴿ وهاهى بنصها : القسم الأول منها ﴾

مهَّد المجـد للرقي العلاء وبنى ذروة السرور الصفاء
وتجلى على القلوب الهناء مثلما أنها تجلت ذكاء
فانجلت عن سمائها الظلماء

والمعالى سعت كسعى الجياد لسراة الاصلاح والارشاد
سيما من أطاع خير العباد (أحمد) المصطفى نبي الرشاد
من دعته لودها العلياء

صفوة الخلق ذو المقام المفدى من ثوب الكمال قد مآتردى
وعلى العرب بالكتاب تحدى فمحى آية الفساد وأودى
بالاعادي وبئست الاعداء

تخذ الصدق منهجا وسبيلا فاتخـذناه للرقي دليلا
لنرى المجـد للنفوس أثيلا راقيا فى الوجود جيلا فجيلا
رغم غر تسومه الاغبياء

ذلك المنتقى لنصرة وحي جاء بالصدق لا برائد غي

إن هذا النبي خير نبي دونه في السموّ أى سمي
تصطفيه لأفقها الجوزاء

(سيد) ساد في العباد علاه وحلا منظراً بديع حلاه
وسما هامة السماك هداه وأضاء الأكوان برق سناه
وسنا البرق دونه الأضواء

لست أهوى سواه مادمت حيا لا ولا أصطفى لنفسيَ ميا
أو يهوى الأديب سعدى وريا وسليمى ولا يود نبيا
تعرف الارض قدره والسماء

إن حب الانسان زيداً وبكرا غير (طه) يقود للنفس شرا
فيرى اليسر في الحقيقة عسرا وغنى النفس أو غنى الكف فقرا
ان يكن ينتمى اليه الذكاء

انني لا أود غير نبي مدنى جوده بيمن ندي
وحباني الوفا وأى وفي همت فيه وأي قرم سخي
عم في الناس فضله والسخاء

غير خير الأنام شرقا وغربا وبنى المكرمات عجما وعربا
من أمد الوغى فرندا وعضبا وأذاق العداة بالسمر ضربا

حينما كان منهم الايذاء

أنا فيه متيم غير أني صادق والغرام والله فني
كم رواه أخو البسالة عني فتمنى الهوى ونم التمنى
فى غرام تحبه الاحشاء

كم به أشرقت ربوع الحجاز وبلاد الافرنج والقوقاز
مذ حباها دلائل الاعجاز رغم أنف المشاء واللماز
فتلاشى عن القلوب العماء

أيد الله روحه بالكتاب وبنور الحجى وفصل الخطاب
فرقى فى ذهابها والاياب ذروة دونها سماء السحاب
وسماكا سماؤه وضاء

﴿ القسم الثاني منها ﴾

جاء (جبريل) بالكتاب اليه مسديا آية الثناء عليه
وثناء (الامين) بين يديه فى (كتاب) مبين ما لديه
ليس إفكا وليس فيه مراء

أيمارى (جبريل) وهو أمين وله سيد الانام خدين

أم يماري النبي سفرٌ مكين سره في القلوب سر كمين

هو للداء في الصدور دواء

ليس يدعو الى اقتناص المحال وانتهاج الانسان نهج الضلال

انما قصده نداء الكمال لرجال الاقبال والاجلال

حبذا قصده ونعم النداء

سطرته يد الولاء سطورا أودعت مهجة الطروب سرورا

لا أراني بغيرها مستنيرا أوَ ألفي لذلك الغير نورا

وبدور السطور فيها الجلاء

ما اتبعنا (القرآن) الا اهتدينا والى منتهى (الكمال) رمينا

فاصطفتنا رجاله واصطفينا دولة المكرمات حتى احتظينا

بنبي جنوده الأصفياء

حسب تلك الجنود طه انتصارا أنهم اصبحوا به انصارا

وكفى (شاعر النبي) شعارا صوغه بامتداحه الأشعارا

كلما زان منتداه الوفاء

انني (شاعر الرسول) وحسبي أن أرى مخلصا بذلك لبي

وكفاني من (الهداية) قربي بين قومي من الهداة وصحبي

وكفى أمة العناد العناء

كل شيء سوى الهدى ليس الا ... محض إفك على النبي تولى
فاضمحلت قواه رغما وولى ... عزه مذ جنى الوبال وضلا
عن سبيل تقيمه (الأنبياء)

ودعانا اليه خير (رسول) ... ليس يدعو الا لخير سبيل
إن أطعناه كان أولى كفيل ... برضاء (الرحمن) في أي جيل
وكفانا اذا أطعنا الرضاء

أنا والله لا أطيع سواه ... ان دعاني ولا أجيب نداه
إن غير (النبي) لست أراه ... راقيا في الوجود يوما سماه
أو ترقى سماءه الزعماء

كيف يرقى الزعيم أفق سماء ... صرحها لم يزل بديع رواء
ما بنته الآداب أسمى بناء ... سرمديّ الا لنيل ارتقاء
لا يضاهيه في المقام ارتقاء

أينا بالرقيّ يشبه (طه) ... ويحاكي علاه قدراً وجاها
وهو فوق السماء شمس ضحاها ... وفقيد العينين أنى يراها
هل ترى الشمس أعين عمياء

بشرت (أمه) الامينة رسل بانتماء الهدى له وهو حمل
والهدى فى النفوس مجد وفضل واعتزاز يهواه شيخ وطفل
أوَ لا تهوى نهجه العقلاء

عن أبيه وأمه والجدود ورث الحزم بين تلك الاسود
فأذاق البغاة ذات الوقود وأنال الاتباع سعد السعود
إنهم باتباعه السعداء

﴿ القسم الثالث منها ﴾

حدثتنا عن حزمه العزمات وعن العزم تنبئ (الغزوات)
كم أساءت حساده الحسرات وأماتت أعداءه القتلات
يوم قامت بعزمه الهيجاء

أغضبوا الله والرسول فكانوا فى كروب يستاء منها الجنان
كربة بعد كربة وهوان تلوَ ذل يقوده الخسران
وصروف عمادها الأهواء

كيف يلقى الاله باغ وعاصى من رجال الافساد يوم القصاص

يوم أخذ الفتى بتلك النواصى بين دان من العباد وقاصى
هل لدى رائد الفساد حياء
إنني لا أرى لعاصى حياء يستر الغى ثوبُه والشقاء
ويزين الفؤاد والاحشاء ليرى من ذوى الثناء ثناء
كل عاص من الحياء براء
لست أرضى العصيان طول حياتى حذراً من لهيب يوم المماة
يوم ألقي شدائد السكرات فى ازدياد وأضلعي فى شتات
وفؤادى كأنه الرمضاء
أوَ أعصى وما جهنم الا لشقي عصى (الاله) وضلا
أم أجارى البغاة حقداً وغلا لترابي ذوو الفضيلة ذلا
وقديماً تجلي الفضلاء
إن من كان عاصياً أو لئيما عن قريب يرى عذاباً أليما
يوم لا تنفع البنون أثيما لا ولا المال حادثاً أو قديما
من شكت من صنيعه الفقراء
يوم تكوى الجباه بالنيران وترى العين منتهى الخسران
فى جحيم فيها صنوف الهوان وضروب الآلام والاحزان

يوم تجفوا أخدانها الاصدقاء

يوم تنقاد للجنان رجال ليس يعزى لغيرها الاقبال
أيدوا الحق والنبي فنالوا ذروة يرتقي بها الافضال
ومقاما تنمى له الآلاء

يوم تطوي السماء والارض طيا ويمد الصراط مداً سويا
وتهز القلوب مما تهيا للذى كان بالضلال عصيا
من جحيم تصلى بها الأمعاء

يوم لا ينفع الهزبر نجار ورقي أودى به استكبار
وفجور تسومه الفجار وشرور تجرها الاشرار
ورياء تثيره الأدنياء

يوم حشر الأرواح والاجساد واتقاد النيران فى الاكباد
واضطهاد الأنكاس والأوغاد ودعاة الاضلال والافساد
والألى فى قلوبهم بغضاء

يوم تختار من ذويها العقول حينما يقهر العصاة الجليل
فيرى الغر منهم والذليل ما جناه التغرير والتضليل
من عذاب تجره السفهاء

يوم يربو بطالبيه السرور وبأهل الشرور تزكو السعير
ويحيي المهذب التوقير ويسيئ المعاند التغرير
فتحار الامعاء والاحشاء

يوم لا يصطفى لفصل الخطاب غير خير الهداة في المحراب
(أحمد) المنتقى لآى الكتاب بين تلك المصاقع الكتّاب
من تفانت بمدحه الخطباء

﴿ القسم الرابع منها ﴾

عاندته البغاة بغياً وظلما حسبما الفى في السرائر عما
فعصوا أمره المطاع ولما أن رأى كارث الخطوب ملما
سل فيهم فرنده فاستاؤا

ما فرند اليمين الا منونا للألى قاوموا النبي جنونا
تتقيه العداة حيناً فحيناً حذراً منه أن يبيد الوتينا
بجراز تهابه اللأواء

كم أمات العداة بالبيض لما هضموا الحق بالفظاظة هضما
إنهم أسرفوا عناداً وظلما وجنوا ماجنوا ضلالا واثما

ودماراً من حوله الحوباء

حسبه الله والكتاب امتداحا فلكم أفصحا به افصاحا
وكفى شرعه الشريف فلاحا وهداه سعادة ونجاحا

وكفاه (المعراج والاسراء)

هل رسول سرى وبالرسل صلى ورأى الله مذ دنى فتدلى
غير (طه) خدن المقام المعلى من بتمداحه قريضى تحلى

فهو عقد وشعري الحسناء

أنا (حسانه) أصوغ الدرارى فيه لكن فى قالب الأشعار
لأراني في عالم الأحرار مسترق الآراء والأفكار

فتحي قريضَ الفصحاء

لست فى غيره أصوغ عقودا تودع اللب سرها المعهودا
إننى لا أرى سريا وحيدا واماما عن الهدى لن يحيدا

غير (طه) وهل له نظراء

كم دعانا الى الرشاد الرسول ليماط الفجور والتضليل
وتمنى بأن تكون العقول مشرقات لا يعتريها أفول

كبدور بنورها الاهتداء

حبذا دعوة الرسول الى ما يسترق الاجلال والاكراما
دعوة مهدت الينا السلاما وأقامت بروحها (الاسلاما)
فتسامت بذلك الأرجاء

﴿ القسم الخامس منها ﴾

إن دين (الاسلام) دين قويم فيه للعالمين فضل عميم
حسب أبنائه الكرام نعيم وصراط في روضه مستقيم
سلكته الآباء والأبناء

دين رشد دعته اليه الاماني بلسان البيان والتبيان
فهو روح الاكرام والاحسان وحياة الفؤاد والجثمان
من سراة تجلها الحكماء

لي وجد بحبه وغرام زاد بي وقعه فزاد الهيام
لا تلمني فليس مثلي يلام ان دعاه لوده (الاسلام)
وانتقته (الشريعة) السمحاء

(بالدين) دستوره (القرآن) فيه مافيه يمنة وأمان
لو تحلى ببرده الانسان لاصطفاه النبي والرحمن

ودعته لانسها النبلاء

انني لا أجل (دينا) سواه كيفما سار فى الهداة هداه
أوَ ينقاد للسوى من دعاه (بكتاب) الى الرشاد (اله)

وأتاه من الرسول النداء

هل جدير بأن أخالف ربا وأعادي الرسول شرقا وغربا
أو أميت الفؤاد مني حبا في اقتراف الذنوب ذنبا فذنبا

ومن الذنب تولد الأسواء

﴿ ختام حكمة الشعر ﴾

يا نبيا لك المقام الرفيع ورسولا من شأنك التشريع
كن شفيعي فما سواك شفيع ان يكن بالذنوب منا صريع

صرعته الطريقة العوجاء

وسل الله أن يسهل أمري مثلما سهل امتداحك شعري
عله أن يميط حندس عسري فأرى سلسبيل كفي يجري

مثلما فى الغدير يجرى الماء

ضاق صدرى وضاقت الارض ذرعا
بي فكنت المصاب (عينا وسمعا)
والي الخطوب في الشرق تسعى وخطوب الزمان أعظم وقعا
من مواض تسلها الحمقاء
لست أشكو الا الى الله حالى آن حلى وحالة الترحال
أوَ أشكو لغيره ماجرى لي وسوى الله تحت طى الزوال
يعتريه وان تسامى الفناء
فعسى الله أن يبدد مابى
من صروف الأحزان والأوصاب
إنها بددت وطيد رحابي بعد ما خلته عزيز الجناب
أوَ ترضى بأن يلم البلاء
لست ترضى بأن أرانى سقيما وأرى الخطب فى الفؤاد مقيما
وأنا المخلص الودود قديما من لدن ماعرفت شخصى فطيما
علمتنى وداداك (الآباء)
كم دعتني الى الوداد (الجدود) فوق ماللصعود يدعو السعود
فأجبت الندى وقومي شهود يظهر الامر يومها المشهود

مثلما أظهر القريض الولاء

فتقبل اذا سمحت نظاما أودعته يد (اليراع) انتظاما
علّ منك القبول يبري الأواما ويبيد الأمراض والآلاما
فيزين الجمان ذاك الشفاء

أنا من مادحيك شعراً ونثراً ومحبي هداك سراً وجهرا
بيد أني سموت في لحب قدراً مثل (شعرى) سما سماء أغرا
طلعت في ربوعه الزهراء

صغت فيك القريض حتى أراني محرز السبق في سباق الرهان
أين مني اذا نظمت بن هاني ونظامي حكى عقد الجمان
أتجاري (حسانك) الشعراء

انني بامتداح فضلك مغرم وقريضي بآيك الغر محكم
كم بتمداحك اللسان ترنم وعليك الفؤاد صلى وسلم
كلما البدء زانه الانتهاء

* * * * * * * * *

هذا . ولنا في المصطفى (ص) عدة قصائد ومقطعات أظهرها الله في عالم المطبوعات وما ذلك عليه بعزيز (وإني أقول)

لى فى امتداح (رسول الله) مقدرة

وهـل سوايَ على (تمداحه) اقتدرا

كم صغت فيه بديع (الشعر) مرتجلا

حتى استرق ارتجالى البدو والحضرا

ورثت رقتـه عن والد (حسن)

عن جده (الفضل) عن (حسان) عن (مضرا)

لا بدع إن قلت غيرى ليس يدركنى

أيدرك (النجم) فى جنح الدجى (قمرا)

وانى أسأل الله تعالى أن يدخلنى ومن أحب في شفاعته (ص) انه على مايشاء قدير

خاتمة حكمة الاسلام

غرضى في هذه الخاتمة التكلم على مواضع مهمة يدعو اليها الدين الاسلامي (التربية الداخلية والخارجية) لما أنها الدرس الأول الذي يجب على الانسان أخذه أو المدرسة الاولى التى ترمي اليها سراة الآراء ورجال الاقلام (والعلم والتعليم) اذ

بها الوصول الى ما تحبه أرباب النفوس السامية وتطلبه أساطين الآداب (ووضاع الأحاديث الباطلة والأقاصيص الكاذبة وقارئها وسامعيها) وبيان أن ذلك هو أول مانع يحول بين التقدم وطالبيه . فضلا عما يجلبه من سخط الله تعالى وغضبه . وابتعاد العالين في الأفكار عمن يجنح الى مثل ذلك التخريف ويميل بجزئياته وكلياته نحو الاباطيل والأضاليل .. سائلا الحق سبحانه أن يوفقني واخواني الى ما يحبه ويرضاه . فأقول

﴿ التربية الداخلية والخارجية ﴾

من الدين الاسلامي (التربية) الحقة التي يودها العمران وتطلبها النفوس الحية وتشرئب اليها أعناق العقلاء . وتنظرها بعيون الاقبال أبناء البسالة ورجال المعارف . وتلتقطها سراة الفضيلة ودعاة الاخلاص . لهذا يجب على كل من أحب الحياة الطيبة والعيش الرغد وأراد أن ينتظم في سلك المتفكرين وأن يكون له القدم الراسخ في ميادين العلوم . واليد الطولى في كل ما يأخذ به الى أية رتبة عالية . وأى منصب

شريف . والنظر العالى فيما يهذب به النفوس ويمهد ما يراه شاقا فى سبيل الرقي . ويسهل ما يصعب عليه فى هذه الحياة . أن يودع نفسه تلك التربية التى دعا اليها (الاسلام) فيكون رجلا تشير اليه مكارم الاخلاق ببنانها . وتعقد عليه جلائل الامور خناصرها . وتنزل فى حيه فرائد الآداب . اذ ما تقدم أحد من الناس التقدم المطلوب الذى يجله كل انسان حيوى ويعظمه كل ذى نفس أبية . الا بتعريج ركائبه نحو تلك التربية الاسلامية وإناخته فى منتدياتها مطاياه . كيف لا وهي عبارة عن نحو تهذيب الاخلاق وتنقيتها من الأدران وتخليصها من سائر ما يحط بالحضارة . وكسبح جماح النفس عما يخل بشريف العواطف ويزرى بالمآثر الشماء . وتعويد الفكر على ما يجعله الآية الكبرى فى نظر العقلاء . والكف على بذل الدينار والدرهم على صاحبه أولا ومن يعول ثانياً والمعوز من الناس ثالثاً . والأخذ بعضد المكارم الاخلاقية ويمين المآثر الدينية . والسعى ورآء نصرة الوطن العزيز . والقيام بواجبات الدين ولوازم الهيئة الاجتماعية . والصدق فى القول والثبات فى العمل

والتتوج بتاج المروءة التي يكون بها الانسان انساناً تخضع بين يديه أبناء الشهامة وترضخ له أساطين الحكمة وتحييه سراة الأفكار . وكما يجب على الانسان ايداعها فى نفسه يجب أن يودعها فى أبناءه وأقرباءه . وبعبارة أعم فيمن يعول أو يعرف من أبناء جنسه . لهذا يؤاخذ الواحد منا اذا لم يرب ولده تربية حقة ترفع شانه وقدره . وتجعل له فى النفوس الحية ذكراً على أنه اذا ترك تربيته لا يجد منه الا عقوقا . به يخالف أمره ويكفر نعمته بل ربما يتطاول عليه بالشتم والسب . والقتل والضرب . وكثيراً ماشاهدنا مثل هذا من أبناء اليوم الألى تركتهم الآباء ظهريا بدون تربية فى الصغر فباءوا بسوء الاخلاق ورجعوا بفظاظة القلوب حتى خسروا خسراناً مبيناً وإنى لآسف ويجدر بى الاسف . مما يفعله الطفل فى حضرة أبيه مما يخل بالادب ويرجع بالوبال وأبوه ينظره بعينه لاينبث ببنت شفة كانه جماد أوحيوان غير عاقل ولا يأتى بحركة تحول بينه وبين مايفعل كانه لايدبر حراكا بل ربما يسره ذلك ويرضى خاطره وضميره . مع أنه لا يكسبه فى المستقبل غير

الشراسة فى خلقه . ولئن قلت له لاتدع ولدك يفعل ذلك فان تركك اياه وشأنه يضر بنفسك وسكوتك عليه يسقط مقامك عنده أولا . ويضيع مستقبله ثانيا . بل أدبه وعلمه تقر به عينك ويستأنس به فؤادك . فلا يسعه الا أن يقول دعنا من هذا وذلك فسوف تؤدبه الليالى وتهذبه الايام وإنى لو أهنته أخاف عليه أن يتكدر أو تتكدر أمه (وأمه عزيزة علىّ) أو أن مقامه لدى عزيز اذ ليس عندى سواه . ولا شك أن هذا هو الطامة الكبرى والمصيبة العظمى . ثم إن من التربية أن يلقى كل من (الوالدين) حب الفضيلة فى نفس الطفل حتى يتعودها فى صغره . وتكون له الغاية النهائية فى كبره . ويودع فى قلبه حب الشجاعة فلا يكون فى مستقبله جباناً يرهب من قاومه ويخاف من لاقاه . وأن يمنعه كل المنع عن مخالطة الساقطين من الناس والمعاملة مع من لا تعرف آباؤه حقائق التربية ولا واجبات التعليم . والا انطبع فى مخيلته ما يأنف منه كل درب حاذق تربى تربية أدبية عرف بها نفسه وربه . وأخص بهذه الدعوة الأم . فانها المدرسة الأولى للأطفال لادارتها شؤونهم

وقيامها بما لهم نحوها من الحقوق (المنزلية) وأضرابها وأحذر كل والدة تود من صميم فؤادها أن يكون ولدها عاملا يرحب به وطنه العزيز ودينه القويم من أن تبث فى أفكاره شيأ من الخرافات التى تعودتها (نساء الشرق) حتى أصبحت أولادهن عبرة لابناء (الغرب) تلك الامة القائمة على حفظ كيان المجد . العاملة على توطيد دعائم السعد . بانتهاجها مناهج التربية الحقة وسلوكها سواء السبيل .. وفى هـذا كفاية وسنوفى الموضوع حقه في غير هذا المختصر

﴿ العلم والتعليم ﴾

من الدين الاسلامى أيضا (العلم) وهو أجل صفة يمتازبها النوع الانساني على غـيره من باقي الانواع . بل يكون بها عظيما عند خالقه مبجلا في نفوس العقلاء . مهابا فى صدور المنتديات معزوز الجانب رفيع المقام . لذلك قال غير واحد . الانسان لا يعد انسانا الا بمعلوماته . ومبتدعاته ومبتكراته بأدبه . لا بنسبه . بفكره وجده . لا بأبيه وجده . وكفى العالم

رفعة معرفته حقائق نفسه . بين أبناء جنسه فضلا عن وقوفه على واجباته وما كلفه الله به من سائر الحقوق وحسبه مقاماما أعد له الحق سبحانه من الدرجات العالية يوم القيامة وما منحه في هذه الحياة من الامتيازات الانسانيـة التي يتنافس بها المتنافسون . ويسعى وراء الأخذ بأذمتها العاملون . وما أمده به من المواهب حتى أصبح في قومه صاحب سيطرة تخضع لها الجبابرة . وقوة تقف دونها الأكاسرة . وما بذره في لبه من بذور المعارف حتى أنبتت أشجاراً يستظل بظلها من أراد الاستظلال . ويجني ثمارها اليانعة من أراد جني الثمار وبالجملة فالعالم أجل انسان خصه الله ببهاته . ومنحه آياته (نبراس) يستضيء الخاص والعام بنوره كما نستضيء في الظلمات بالبدور (وآية) يهدى بها الله من شاء له الهداية وساق اليه التوفيق . ينبئك بذلك (كتاب الله) وسنة رسوله الأمين ولولا خوف الملل لذكرت لك في فضل العلم والعلماء من الآيات والأحاديث وما سطره المؤرخون عن السلف من القصائد والأمثال . مالا يحصيه كاتب أديب . ومنه (التعليم) أيضا

اذ هو السبب الوحيد فى الحصول على العلم والوصول اليه .
ولولاه لما كان للعلوم انتشار بين أفراد الأمة المتمدنة .
وليكن فى علمك أن من المحتم أدبا ودينا على من أراد أن
يعلم غيره أى علم من العلوم . أن يتعلم طرق التعليم قبل
الاخذ فيه وأن يكون كالطبيب يصف الدواء على قدر الداء .
والا جنى على العلم جنايات لا تمحيها الدهور . وحمّل نفسه
أوصابا لا تجده من كوارثها الأيام . وأضر بالمتعلم . وباء بغضب
من الله — ومن الأسف أن بعض (معلمى) اليوم فى
(المدارس والمساجد) لا يسلك طرق التعليم الأحق كأنه
ماعرفها ولا وقف على شئ منها — يأتى للمتعلم الضعيف بأشياء
تكاد أن تكون (طلاسم سحر) أو (خطوط جفر) تحار
بها الكبار . فضلا عن الصغار . واني لا إخال المتعلم بين أيدى
القاصرين فى فنون التعليم الا صيداً تنهش فى لحمه الذئاب . أو
انسانا تقلبه على جمر البوار زبانية العذاب — ولقد مررت فى
بعض (معاهد العلم) على رجل يعلم صغاراً شرح الكفراوى
وهو يقول فى تعليمه . (اعلموا أن أوجه البسملة تسعة على

رأي الشارح وقد أوصلها بعضهم الى ماينون عن ألف وسنذكرها لكم بالتحقيق بعد ما نبين معنى الباء الأصلية والزائدة وماقاله المحققون فى اضافة اسم الى لفظ الجلالة) مع أن صغاره في غاية القصور . ومررت على آخر يقرأ (السنوسية) لأطفال ما شموا رائحة التوحيد وهو يقول لهم (يجب عليكم أولا أن تعرفوا معني أل واللام في قوله الحمد لله ومعنى الحمد والشكر والمدح اللغوى والاصطلاحي والنسب التى بين كل منها ولنبين لكم ذلك فنقول الخ) وأطفاله يسخطون على العلم تارة وعلى حضرته أخري . ولقد سمعت بعضهم يقول لبعض (نقل الحجارة فى الظهيرة على الظهر أحب الىّ من هذا العذاب الأليم) — فانظر ناشدتك الله الى هؤلاء المعلمين وتلك الأطفال الساخطة على العلوم وذلك التعليم العقيم . هل يرجى لاطفالنا والحالة كذلك تقدم يأخذ بهم من حضيض الذل الى سماء العز . أظن أنه لا يمكن ذلك الا اذا توطدت أصول التعليم وتمهدت قوانين التدريس والا فلا تقدم ولا ارتقاء . وسنعطي المقام حقه فى غير هذا الكتاب .

﴿ وضّاع الاكاذيب وقارئوا الأقاصيص وسامعوها ﴾

موضوعنا الآن يتعلق بثلاثة ممن يظنون أنهم يحسنون صنعا وضاع الأحاديث الكاذبة التي تخجل العاقل الأديب والاباطيل المشوهة وجوه الآداب . وقارئي الاقاصيص التي ماأنزل الله بها من سلطان . وسامعي الأضاليل الذين أضاعوا بسماعها الوقت أدراج الرياح . ولنتكلم مع كل فرداً فرداً موجزين في القول فنقول أيها الواضع على لسان النبي أباطيلك التي تبرأ منها الحقيقة براءة السليم من المرض انظر معي مليا بعين بصيرتك ان كانت لك بصيرة الى ما نبيء عنه (آي الذكر الحكيم) وأحاديث الرسول الاكرم فيمن تصدى للاكاذيب لاسيما قوله تعالى (ألا لعنة الله على الكاذبين) وقوله عليه الصلاة والسلام (من كذب عليّ عامداً متعمداً فليتبوء مقعده من النار) تدرك حقيقة نفسك وما يؤول اليه أمرك من الطرد من رحمة الله والالقاء في النار . وقل لي ناشدتك الله والمروءة ماذا تقصد بأحاديثك وأباطيلك أتقصد حث الناس على العمل الصالح . أم تريد أن يتبعك الغاوون في

بدعتك السيئة وسنتك العوجاء فان قصدت الأول ففي القرآن الذى مافرط الله فيه من شئ وصحيح السنة التي جاء بها النبي الأمين . مايغنى عما أنت عليه من الضلال المبين . نعم لو كانا والعياذ بالله غير تامين لكان الكل ان لم نقل الاغلب مفتقراً لصنعك افتقار الظمآن للماء . محتاجا لوضعك احتياج المريض للدواء . ولكن ولله الحمد لاينكر كمال الكتاب أعمى فضلا عن بصير . ولا يجهل تمام السنة جاهل فضلا عن عاقل خبير . وان أردت الثاني فهذا صنيع المضطهد المرذول والساقط المبتذل فدع نفسك من ذلك وخذ بها الى سواء السبيل والا فاستعد للعذاب . وتهيأ للعقاب . وأنت أيها المتصدى لقراءة أو تأليف الاقاصيص الباطلة والاكاذيب الاسرائيلية على مسمع الكثير من الناس لاتظن أنك تحسن صنعا . أو يجدي عملك نفعا . انما أنت تجنى على الحضارة وتقضى على الفضيلة اذ كثيراً ما يغر من عملك هذا من أودعه الله المعارف فرار الصحيح من الأجرب . أو العالم من الجهول . وإني لا أرى صنيعك هذا إلا صنيع من لا يبالى بما يصنع وعملك عمل من

لا يميز الغث من الثمين والكذب من الصدق والخطأ من الصواب . ولا بدع إذا قلت عمل من لا يخاف العقاب . ولا يرهب سيطرة الله تعالى يوم يقوم الحساب . أو من يرضى اللعنة لنفسه ويود أن يتبوء مقعده من النار . نخل نفسك من الغي واترك ماوضعه الوضاع فى مثل شأن (الجنة والنار) وفضل (الشهور والفواكه وسائر المطاعم بعضها على بعض) وشأن (الليالى والايام كليلة النصف من شعبان ويوم عاشوراء) من الاحاديث التى ما تفوه بها الرسول ككثير من أحاديث (الروض الفائق) و(المستطرف) و(نزهة المجالس) و (تنبيه الغافلين) و (درة الواعظين) و (قراءة الميعاد) و(خريدة العجائب) و(بعض كتب السير) وغير ذلك مما تداولته أيدى الكبار والصغار واضرب وراء ظهرك بما في بعض كتب التفسير (كالخازن والخطيب) وكتب التاريخ (كأنس الجليل) في تاريخ القدس والخليل (وفتوح الشام) المنسوب كذباً للواقدى . من الأقاصيص والحكايات والخرافات والتراهات فان الاشتغال بمثل هذه الاباطيل

وترك كتاب الله تعالى ظهرياً . وجعل صحيح السنة نسياً منسيا مما تأنف منه العقلاء فما لك والاشتغال بها . أتأمل أن تعتقد العوام بك العلم والادراك اذا أشغلت نفسك بذلك . أو ترجو أن يظنوا بك الصلاح اذا كذبت على نبيك وقلت قال (من فعل كذا وكذا وقام بكذا وكذا غفر الله له ألف ألف ذنب من الكبائر وبنى له ألف ألف قصر فى الجنة وخلق من فيه ألف ألف ملك يسبحون ويكبرون له الى يوم القيامة) ونحو ذلك مما يتبرأ منه النبي عليه السلام كما تبرأ الذئب من دم ابن يعقوب . أم تريد مجرد القاء الوعظ . فان أملت الاول ورجوت الثانى فعما قريب يضيع أملك ويخيب رجاك . لما أن العصر عصر علوم لا عصر جهالة وخمول والزمن زمن مخترعات ومكتشفات لا زمن تمويه وتضليل . وان أردت الثالث فحكمة الله البالغة وكتابه الاحق وسنة رسوله الامين فيهما يغني عن الكذب والتخريف كما قلنا .. وأنت أيها المضيع زمنك سدى فى سماعك من يخبط خبط عشواء تارة ويحرف فى القول أخري لقد ضيعت ثمين وقتك فيما لا يجلب لك سوى الهوان . ولا يرجع عليك بغير

الخسران . أترضي أن تكون آذانا مصغية لموضوعات تؤلم الاحساس الشريف وقلوبا واعية لخرافات تجرح العواطف الشريفة أظن أنك لا ترضى بذلك الا اذا جهلت الحقيقة . ولكن عليك أن تسأل رجال العلوم والمعارف اذا كنت غير عارف (بالموضوع) من غيره (والتمويه) مما عداه . حيث ان الجهل لا يعد عذراً في دارنا هذه (دار الآداب والاسلام) والعلماء فيها ولله الحمد أكثر من أن تعد . فسل عن دينك أبناءه ورقيك أخدانه ولو لم يكونوا معززى الجانب بثروة المال وجاه القوة والبطش تكن انسانا ترحب بك الفضيلة والا حرمت السعادتين وكنت كما تود لك الاعداء : هذا وأملى من أمثال هؤلاء ومن انتهج مناهجهم أن يريحوا أنفسهم من كلفة التخريف والتضليل ليريحونى من أن أسطر فيهم ثانيا مثل هذه السطور التى تكاد أن تكون سيوفا قاطعة نبدد بها أوابد المعاندين وأن يقتصروا على مافى الكتاب والاحاديث الصحيحة وما نطقت به أساطين الحكمة (كالامام البخارى ومسلم) من رجال الحديث (والطبرى والنسفي) من أرباب التفسير (وابن خالدون وابن

خلكان) من أبناء التاريخ : ثم بعد هذا يقوم الواحد منهم بما فرض عليه نحو أمته ووطنه وأدبه ودينه فياما تدعو اليه واجبات الاخلاص وتقتضيه مقتضيات قول الله تعالى عز من قائل (أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) والحمد لله أولا وآخراً . تم بعون الله صبيحة يوم الاثنين ١٢ محرم الحرام سنة ١٣٢٥ على يد الفقير الى الله تعالى (سليم أبى الاقبال اليعقوبى) وفقه الله وجميع المسلمين لما يحبه ويرضاه

﴿ تقاريظ العلماء الاعلام . حكمة الاسلام ﴾

قال شيخنا (فى علوم الأصول والفروع والتوحيد والحديث والتفسير) علامة المعقول والمنقول الشيخ محمد بخيت المطيعى الازهرى لازال محفوظا . الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه . وبعد فقد اطلعت على (مؤلف) الاستاذ (اليعقوبى) المسمى (حكمة الاسلام) فوجدته قد اشتمل على ماينفع الامة الاسلامية فى أصول الدين والآداب ومكارم الاخلاق ولقد سلك به صاحبه (أبو الاقبال)

مسلكا حسناً لاسيما في قصيدته النبوية المسماة (حكمة الشعر) التي تشرفت بشرف الممدوح وانى أقول فيها

هذه (حكمة) من الشعر جاءت من (سليم) من كل عى وغى
(سيد) ينظم الدراري عقوداً خير مدح يهدى لخير (نبي)
صلى الله عليه وسلم أولا وآخراً وجعلنا من أتباعه باطناً وظاهراً

كتبه محمد بخيت المطيعي الحنفي بالازهر

وقال شيخنا في (علوم المنطق وأصول الشافعية) العلامة الأوحد الشيخ محمد ماضى الرخاوى الازهري أدامه الله ـ بسمك اللهم ألتمس افادة نداك . وبحمدك وشكرك أستلم افاضة نداك وبالصلاة والسلام على نبيك استمطر وابل هداك . وبعد

فان أولى ما يعتنى به العلماء . ويجنح اليه الاذكياء . إقامة عماد الدين ببيان الحجج والبراهين حتى يدحض الحق صولة الاعداء . ويزيل دواء العلم كل داء . فلا يكون لعدو صولة . ولا لغبي في سبيل الحق جولة . وهذه (حكمة الاسلام) قد كشفت عن وجوه المعارف اللثام . جادت بها أفكار الفاضل . سلالة

الافاضل . الشيخ (سليم اليعقوبي أبو الاقبال) . بلغنا الله واياه جميع الآمال . ولقد سرحت نظري في رياضه . وأجلت الفكر في ذلال حياضه . فوجدته ذا قطوف دانيه . وسلسبيل كؤوسه صافيه . لمثله فليعمل العاملون . وليحذ حذو مؤلفه المحصلون وفقنا الله واياه لما يرضاه محمد ماضى الرخاوى الازهرى

وقال حضرة الاستاذ الشيخ على سرور الزنكلوني الازهرى

أيها الاستاذ اللوذعي صاحب كتاب (حكمة الاسلام) قد اطلعت على كتابك الجامع وسفرك البالغ فاذا هو جنة عالية قطوفها دانية تؤتي أكلها كل حين باذن ربها أو سفينة نوح فيها من كل زوجين اثنين ولقد أدهشني أمره وبهرني صنعه وخيل لى حين يممت مطالبه أن (شباب الاسلام) قد عاد وانى أمارس كتابا بقلم جليل من أجلاء الصدر الاول وألامس أذواق الفصحاء والعرب العرباء فقد أدركت منه روحا تمثل لنا تلك الارواح الطاهرة والنفوس العاليه وأنى لك هذا (أيها الاستاذ اليعقوبي) وأنت ممن أشرقت عليهم شمس القرن الرابع عشر الذى كثرت فيه الاحلام وراجت

فيه بضاعة الاوهام ولولا أنى من أهل السنة والجماعة لقلت بتناسخ الارواح وغاية ماأقنعت به نفسى مما رأيته فى كتابك (السحر الحلال) أنك تجردت فرقيت فاستطلعت من عالم وراء هذا العالم ما حجب عن غيرك فأودعت فيه ما أودعت من الآيات العظيمة ورصعت فيه مارصعت من الجواهر الفردة الثمينة . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . والعقل ينهض بى الى هذا الرأي لان بداية المتأخر نهاية المتقدم . لذلك أيها (الجهبذ) لا أستطيع أن أنكر الحق فى ابداعك هذا الاثر الجليل والسفر الجميل وأنى لى هذا وقد جمعت فيه من دلائل التوحيد وآيات التمجيد ومكارم الاخلاق ما يجعل (ابن سينا والفارابى وابن رشد) وأمثالهم يأسفون على أسفارهم الضخمة وكتبهم المطولة التى حواها كتابك وزاد عليها فى قالب رق مبناه . وسهل معناه . مع ايجاز العبارة ولطف الاشارة ويعدون لك هذا من أجل المعجزات . كل الصيد في جوف الفري . نحوت فيه نحو الفلاسفة المتأخرين . وجمعت به مارق من آراء المتقدمين . وتجنبت الحشو والتطويل . وباعدت

بينك وبين القال والقيل . بل عمدت الى احقاق الحق فى ذاته وابرازه فى ثوب نضر غير مشوه بالمشاغبات والاعتراضات خصوصاً فى المسائل اللفظية التى كانت هي الضربة القاضية فى تأخر علوم المسلمين وكانك فى كتابك هذا تخبر عن كشف وتحكم بوجدان فلله أبوك فى هذا البيان وانى أتعشم في اخوانى أصحاب دولة العلم أن يعرفوا لك هذا الحق ويقوموا لك بالواجب ويجعلوا كتابك خير رفيق لهم بل لو أراد الله بمعاهد التعليم خيراً لوفق ولاة الامور لتقرير كتابك فيها فانه أنفع كتاب ديني مفيد للمعلم والمتعلم فيما يراه المنصف وإنى أكرر لك الشكر قياما بواجبك واستنهاضا لهمتك. ولا بدع فيما أتيت به فانك وارث العلم ومقلب سلمه كما قلبها (أبوك وجدك) من قبلك واسأل الله تعالى أن يوفقك للخير وينفع بك المسلمين كاتبه على سرور الزنكلونى الازهرى

وقال رب المنثور والمنظوم عز تلو محمود بك زكى أيد الله به دولة الآداب . اني قد تصفحت فى هذه الايام كتابا ألفه حضرة الاديب الفاضل . والشاعر الناثر . حريرى زمانه

ونادرة عصره وأوانه . الشيخ سليم اليعقوبى المكنى بابى الاقبال . والبلبل الشادى بمدح النبي والآل . فسماه (حكمة الاسلام) وأودعه من بدائع بيانه . وغرر تبيانه . ما يزرى بالدر . ويتنافس فيه السحر . وحسبي أن أقول فى تقريظه انه

يزيدك لفظه حسنا اذا ما زدته نظرا

أبياته أرق من الشمول . وعباراته تفتن العقول . لا زال مؤلفه يفترع ابكار المعانى . ولا برح يتكفل له الثناء بعمرثاني ماهدلت الورقاء . وحرك طائر جناحيه فى السماء

محمود زكى (مدير مجلة الازهر)

ولنجعل ختام التقاريظ مسكا بما تفضل به علينا شيخنا الوالد إمام المحققين وخاتمة المدققين فضيلة الشيخ حسن افندى اليعقوبى الازهرى نفع الله به الاسلام والمسلمين وهو

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده (بني) أرسلت الىّ (حكمتك) فتصفحتها باعمال فكر . وامعان نظر فوجدتك قد حذوت فيها حذو الحكماء . ورميت بها الى مايرمي اليه (القرآن) ويطلبه منك وطنك

العزيز ويكلفك به دينك القديم . وسلكت فى ابداعها مسلكا دينيا وانتهجت فى ترتيبها صراطاً سويا . حسبما عودتك عليه فى (صغرك) وألقيته فى آذانك من العظات ـ ولقد أزلت بمباحثها شبهات المبطلين . وبددت بمواضى مطالبها أوابد المعتدين . وأزحت بما ضمنتها من نواميس العمران وأصول الحضارة وقوانين الآداب . دياجير الغياهب . وظلمات المشاغب . وحسبك (يابنى) شأنا وشاؤا سعيك وراء تعضيد دينك بتحقيق مسائله وشرح ماانطوى عليه من الاسرار وبيان ماله نحو نامن الحقوق والوجبات وهذا من أجل المنن التى خصك الله بها دون أقرانك . وأعظم المواهب التى وهبك إياها بين أخدانك . فاشكر الله على ماأعطى ولا تكن من الجاحدين (بنى) أقرظ كتابك (حكمة الاسلام) تعضيدا لاعمالك . وتنشيطا لافكارك لما تعهده فيّ من التعضيد لك فى صغرك وبث روح النشاط فى فؤادك السليم ـ كيف لا وقد قمت اليوم بماقامت به (أجدادك) فسعيت بجدك واجتهادك وراء نشر المعارف وأخذت بنفسك الابية نحو القاء الروح الطاهرة فى القلوب وغرس الاخلاق

الدينية فى الصدور وما صنيعك هـذا الا صنيع مخلص لدينه الارفع صادق فى خدمة وطنه العزيز .. قمت بما يجدد شؤون العلوم والمعارف . فى هذا الزمن الممقوت الذى راجت فيه الاباطيل والبدع . ونمت فى نفوس أبنائه الاضاليل .. كما قمت بما يجدد أمر هذا الدين دين الحضارة والآداب ـ والله يبعث فى كل أمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها ـ كما نطق بذلك بعض الاحاديث . وفقك الله لما يحب وأيدك بروح من عنده انه قريب مجيب . والحمد لله أولا وآخراً

كاتبه حسن اليعقوبى الازهرى

﴿ استدراك الخطأ المطبعي ﴾

الاولى في صحيفة ٣ صوابها الالى . أزاعوا صحيفة ٨ صوابها أذاعوا المروؤة صحيفة ١٥ صوابها المروءة . عشر صحيفة ٣٢ صوابها عشرة . لوو صحيفة ٣٥ صوابها ولو لم . مؤتر صحيفة ٥٠ صوابها مؤتمر . العلما صحيفة ٦٥ صوابها كلا العلماء . يعرف صحيفة ٧٦ صوابها ليعرف . لحب صحيفة ١٥٤ صوابها الحب . ينبث صحيفة ١٥٨ صوابها ينبس . مهابا صحيفة ١٦٠ صوابها مهيبا

(والحمد لله في البدء والختام)